الأخلاق عند فرنسيس هربرت برادلي

إعـــداد

د. مصطفى فواز صديق مناع

مدرس الفلسفة الحديثة والمعاصرة

كلية الآداب - جامعة أسيوط

Email: mustafafawaz@aun.edu.eg

DOI: 10.21608/aakj.2024.253094.1617

تاريخ الاستلام: ٤ / ١٢/ ٢٠٢٣م

تاريخ القبول: ١٧/ ١٢/ ٢٠٢٣م

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على "الأخلاق عند برادلي"، وهو من أشهر الفلاسفة المثاليين والميتافيزيقيين في القرن التاسع عشر. وقد أُطلق عليه من قِبل بعض الفلاسفة أنه "فيلسوف الفلاسفة". وهو يرى أن وظيفة الفلسفة هي فهم الوعي الأخلاقي وهذا الوعي الأخلاقي لا يقتصر فقط على الواجب الموجه أو الاعتبارات الشخصية؛ ولكنه يتضمن كل نواحي الحياة. كما أنه يرى أن الذات لديها هدف تتجه إليه وتحاول تنفيذه وهو ما يسمى بالإدراك الذاتي. وقد رفض أن يكون الواجب من أجل الواجب لأن ذلك يجعله خالي من التوجيه الأخلاقي ويجعله كما لو كان شيء مفروض. وأن علم الأخلاق يهتم بالسلوك البشري وبمدى تحمله للمسئولية والجزاء، وأن الأخلاق الاجتماعية المشتركة هي أساس الحياة البشرية، والأخلاق المثالية تعتمد أساسًا على الأخلاق الاجتماعية ومن ثم فقد تناول المذهب النفعي الذي يقلل من قيمة الفعل الأخلاقي وإنتقد هذا الاتجاه الذي ينظر إلى الحياة على أنها تتكون من مجموعة من السعادات المنفصلة، كل واحدة لها غاية في حد ذاتها ومدى ما تقدمه تلك السعادة. وكذلك تطرق إلى المسئولية الأخلاقية والعقاب والإرادة الحرة، وأن المسئولية تتضمن عامل أخلاقي أي أن المسئولية لا يمكن أن توجد ما لم يوجد الفهم والإرادة الأخلاقية الحرة، وأن العقاب هو رد فعل أخلاقي وهذا ما يؤكد على المسئولية الأخلاقية، ولكننا بينا الفرق بين القضاء على الخطأ والقضاء على الخاطئ، وأن اللوم يفترض مسبقًا وجود الإختيار الحر، وأنه لا يمكننا معرفة الخير الأخلاقي بدون معرفتنا للشر. كما تناول السعادة وعلاقتها بالأخلاق، وأن نظريته عن الأخلاق هي عبارة عن عملية إدراك الذات، وأن مجال الأخلاق هو مجال الحياة كاملة، وأن الذات الأخلاقية تظهر في كل تفاصيل الحياة، وأن غاية الأخلاق بالنسبة له هي إدراك الذات، وكذلك تناول الذات الخيرة والسيئة، وأن الذات الخيرة هي الذات الأخلاقية، وكذلك مفهوم الخير والشر عنده.

أما عن مشكلة الدراسة: فإنها تنبع من أننا نتناول الأخلاق عند برادلي لبيان مدى أهميتها ودورها في تعميق العلاقات في المجتمع؛ وبالذات الأخلاق الاجتماعية المشتركة والتي تمثل عنده أساس الحياة البشرية، ثم محاولة فهم معنى المسئولية الأخلاقية والعقاب والإرادة الحرة، وأن المسئولية تتضمن عامل أخلاقي؛ وذلك بشكل تفصيلي لإثارة آفاق ورؤى جديدة، وكيف يكون العقاب رد فعل أخلاقي، ومن ثم طرح أسئلة ومشكلات متشابكة مع الموضوع محل الدراسة.

وأما عن أهداف الدراسة: فهي تتمثل في إبراز معنى وأهمية الأخلاق عند برادلي؛ خاصة وقد أُطلق عليه من قِبل البعض بأنه فيلسوف الفلاسفة، والوقوف على الأسس التي ارتكزت عليها الأخلاق عنده، وإلى أي مدى تعد الأخلاق ملمحًا أساسيًا في فلسفته، والكشف عن إسهاماته في

المجال الأخلاقي، خاصة وأنه قد أَطلق على أشهر كتبه دراسات أخلاقية، وكيفية معالجته لموضوع الأخلاق وعلاقته بالوعي وإدراك الذات، ومدى إختلاف رؤيته الأخلاقية عن غيره من الفلاسفة مما يثري الفكر الأخلاقي المعاصر.

أما عن منهج الدراسة: فقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة اتباع المنهج الوصفي التحليلي؛ وهو الذي يعتمد على جمع البيانات وتحليل العناصر الأساسية لفلسفة الأخلاق عند برادلي بطريقة واضحة وبسيطة، وكذلك المنهج النقدي لتوجيه النقد بموضوعية بعيدًا عن التحيز لبعض الرُؤى أو الأفكار أو الإتجاهات، وذلك كلما دعت الحاجة لذلك.

محاور الدراسة: تشتمل هذه الدراسة على عدة محاور رئيسة تسبقها المقدمة وتليها الخاتمة، وذلك على النحو التالي:

- المسئولية الأخلاقية والعقاب عند برادلي.
- المسئولية والإرادة الحرة عند برادلي.
- الوعي الأخلاقي عند برادلي.
- السعادة وعلاقتها بالأخلاق عند برادلي.
- إدراك الذات وعلاقتها بالأخلاق عند برادلي.
- الذات الخيرة والسيئة عند برادلي.
- مفهوم الخير والشر عند برادلي.

الكلمات المفتاحية: الأخلاق، المسئولية، العقاب.

Abstract:

This research deals with Ethics at Francis Herbert Bradley. He is one of the most famous idealist and metaphysicist of the nineteenth century. He was called by some that he is the philosopher of the philosophers. He sees that the function of philosophy is to understand moral awareness, and this moral awareness is not limited only to direct duty or personal considerations but it includes all aspects of life. He also sees that the self has its end and it tries to implement it which is called self-awareness. And he refused that the duty should be only for duty because that makes it void of moral guidance and makes it as something that was required. And that the science of ethics is concerned with human behavior with what it bears responsibility and punishment. And common social morality are the basics for human life. He sees that ideal morals depend mainly on social morals hence he dealt with the utilitarian doctrine that reduces the value of moral action and criticized this tendency that views life as consisting of a set of separate happiness, each one has a purpose in itself and what this happiness presents. He also discussed moral responsibility, punishment and free will and that responsibility includes a moral factor. This means that responsibility cannot be found without understanding and the moral free will. So punishment is a moral reaction and this confirms moral responsibility. But we differentiate between eliminating the wrong and eliminating wrong person. And that blame presupposes the existence of free choice. And that we cannot know the moral good without knowing evil. He dealt also with happiness and its relationship with morals and his theory of ethics is a process of self-realization. Moreover he confirmed that the field of morality is the fields of life as a whole. And that the moral self appears in every detail of life. It is interesting to note that the end of morals in his philosophy is self-realization. He also dealt with good and bad self, so the good self is the moral self, and finally the concept of good and evil according to him.

Keywords: Ethics**,** responsibility, punishment

مقدمة:

يعد برادلي (١٨٤٦-١٩٢٤م) من أشهر الفلاسفة المثاليين البريطانيين المؤثرين، بل وأيضًا من أعظم الفلاسفة الميتافيزيقيين في القرن التاسع عشر. قد نشر العديد من الأعمال الضخمة في الأخلاق والمنطق والميتافيزيقيا[١]. وقد أُطلق عليه من قِبل بعض الفلاسفة إنه "فيلسوف الفلاسفة Philosopher's philosopher"[٢]. وقد ظل اسمه لعدة أعوام مصدر خوف أو قلق للعديد من الفلاسفة. أما عن وفاته فهناك من علق – مثل براند بلانشارد Brand Blanshard– قائلًا بأن وفاة برادلي ليست بمثابة مرور لشخصية عظيمة فقط، ولكن أيضًا كانت بمثابة مرور لإسم عظيم. فلقد قدم برادلي بعض التفسيرات –كثرت أم قلت– لتجنب سوء الفهم في بعض الأمور[٣].

وفي الحقيقة نحن نتعرف اليوم على برادلي بشكل أفضل من ذي قبل، بل وأكثر من معظم معاصريه. ومن خلال النظر في مجتمعنا هذا نجد أن المسئولية الشخصية لا يمكن أن تنفصل عن المسئولية الاجتماعية؛ فالمسئولية الشخصية تشكل جزءًا أساسيًا من المسئولية المجتمعية، وذلك لأن الأشخاص والعالم لا يمكن عزلهما عن بعضهما البعض.

ومن هذا المنطلق إذا ما نظرنا إلى الأخلاق الاجتماعية المشتركة Common social morality عند برادلي فنجد أنها هي أساس الحياة البشرية، وهي تختص بأشكال أو موضوعات معينة في المجتمع. ومن خلال الأسس الخاصة بها نقوم باختيار القيم الخاصة بالكمال الاجتماعي والقيم النظرية التي تعمل على تسيير الحياة. ومن ثم تبقى الأخلاق المشتركة هي الحصن المنيع الذي يحمي نسله offspring من المهد إلى اللحد أو منذ البداية حتى النهاية، إلا أن البعض يهمل ذلك؛ ومن ثم وجه برادلي عضبه على المؤسسات الدينية والأخلاقية التي تجعل من المجتمع ومن الحياة الإنسانية على ما هي عليه... فالفرد ينبغي أن يدرك أن قوة الإرادة للشيء الخير لو ضعفت في وقتٍ ما، فسوف يكون هناك خطر بأن تضعف في كل مكان[٤].

فضلًا عن أنه رأى أن أخلاق الإنسان مقيدة بمجال العلاقات الاجتماعية، وهذا يعد جزءًا من الحقيقة[٥]. ولكنه مع ذلك لاحظ أن هناك وجهة نظر أخرى ترى أن الأخلاق هي مضايقات وإضطهاد من الحياة، من خلال وضع أولويات وواجبات وأشياء صعبة، وأنه بدون ذلك لا يمكن أن نستدل على الأخلاق[٦]. لذا يرى العديد من الفلاسفة أن المنطق الأخلاقي يهدف إلى توصيل أحكام تتوافق مع الواقع الأخلاقي الخارجي، فبينما يشير الفكر أو المنطق العقلي لأي عملية فكرية، نجد أن الأحكام الأخلاقية هي بمثابة نوع من الفطنة أو التمييز الحدسي Intuitive discernment أو الاعتراف recognition، ويعني ذلك أن الأحكام الأخلاقية تحتوي على عناصر أساسية من الفطنة والتمييز[٧].

وعلى الرغم من أن المجتمع هو كنز قيم طبقًا لبرادلي، فالمجتمع أيضًا لا يوجد به سد منيع يحميه من التغيرات الأخلاقية، فمن الممكن أن يكون هناك تقدم وتغير أخلاقي، ومن الطبيعي أن يوجد داخل أي مجتمع العديد من التناقضات، تلك التي تقود النظام بأكمله لحل تلك التناقضات والنزاعات المتعارضة؛ وبالتأكيد فإن هذا لا يكون بالقضاء على العناصر المتعارضة، ولكن بإيجاد طرق تتوافق فيها تلك العناصر أو الأطراف حتى تتطور داخل المنظومة الاجتماعية[٨].

وقد ذهب برادلي هنا إلى أن الفلسفة الحقيقية لابد أن تَقبل وتُبرر كل جانب من جوانب الطبيعة البشرية[٩]. فهو يرى أن وظيفة الفلسفة هي فهم الوعي الأخلاقيmoral consciousness وليست إمداد العنصر البشري بإتجاه جديد. وهذا الوعي الأخلاقي لا يقتصر فقط على الواجب الموجه أو حتى الاعتبارات الشخصية؛ ولكنه يتضمن كل نواحي الحياة. فهو يرى أن الذات لديها هدف تتجه إليه وتحاول تنفيذه، وهو ما يسمى بالإدراك الذاتي self-realization. كما أن معرفة الذات وعلاقتها بالهدف هي من أهم الأشياء الأساسية لفهم البشر مثلما يفهمون أنفسهم[١٠]. والوجود الأخلاقي يفهم من خلال وجهات النظر الخاصة بالإدراك الذاتي. فضلًا عن

أن أحد وجهات النظر هذه ترى أن الذات هي بمثابة عنصر نشط أو فعال، وليس مجرد نوع من التقييم الخاص بالحالات الأخرى. وأيًا ما كان شكل العالم فإن الذات ما لم تكن فعاله فسوف يصبح العالم متدني أخلاقيًا. ومن ثم يرى برادلي بأننا ندرك أنفسنا من خلال وجودنا داخل المنظومة الاجتماعية، وهذا يتطلب منا القيام بالواجبات المطلوبة التي يفرضها علينا المجتمع(١١). ويرى برادلي أن النفس البشرية تهدف إلى حياة مليئة بأنواع متعددة من الأشياء الخاصة، والتي من خلالها يؤيد كل فرد المجموعة الكلية التي يوجد بها، وعندئذ يمكننا البدء بوصف الحياة الأخلاقية للإنسان(١٢).

ومن الجدير بالذكر أن برادلي صرح بأن أصحاب مذهب الحتمية واللاحتمية Non-Determinism لم يكونا في توافق مع المفهوم العام للأخلاق. ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن الحتميين لم يتطرقوا لمفهوم الذات، وأن اللاحتميين فصلوا الذات عن مبادئ الضرورة العلية Causal Necessity فصلًا كاملًا؛ ومن ثم فكلاهما لم يكن على توافق مع المعتقد العام. والسؤال الذي يطرح نفسه لو أن كلًا منهما فشل في تبرير المسئولية الأخلاقية، فكيف نحافظ عليها؟ وما هي الغاية التي تبرر الأخلاق؟ وهنا يقول برادلي أن هناك إجابة واحدة لهذا التساؤل؛ وهي أن الأخلاق غاية في حد ذاتها، وهذه الغاية هي إدراك الذات self-realization(١٣).

ومن ثم رفض برادلي المذهب الكانطي لأنه كان يرى أن الواجب ينبغي أن يكون من أجل الواجب Duty for Duty's sake، ذلك الذي جعله يخلو من التوجيه الأخلاقي وجعله شيء رسمي أو مفروض. كما رفض المتعة أو السعادة من أجل السعادة Pleasure for pleasure's sake، وذلك لأن الذات ليست ذلك النوع من الأشياء الذي يمكنه إيجاد الشيء الصالح له من خلال مجموعة من الأحساسات. ولعل طبيعة الذات هي وحدة عضوية كاملة، وأن الشيء الصالح الذي يفيد طبيعة الذات سوف يصبح صحيح في حد ذاته. فضلًا عن أن الشيء الصالح بالنسبة للذات هو الشيء الصالح في المجتمع. وعلاوة على ذلك فحياة الإنسان نفسه داخل المنظومة

التـي يتواجـد فيهـا داخـل المجتمـع، تعـد بالنسـبة لـه حيـاة يـنعم فيهـا بـالكثير مـن الفضائل(١٤).

وبذلك قام برادلي بعمل هام من خلال كتاباته عن الأخلاق والميتافيزيقيا أيضًا. ففي كتابه "دراسات أخلاقية" ناقش المذهب النفعي Utilitarianism الذي يقلل من قيمة الفعل الأخلاقي، من خلال جعله شيء خاص يمكن قياس مدى نفعيته، وأن المذهب النفعي قدم نظام أخلاقي يحول الخبرة إلى شيءٍ غير معترف به أخلاقيًا. ولقد نقد برادلي الاتجاه النفعي الذي ينظر إلى الحياة على أنها تتكون من مجموعة من السعادات المنفصلة، كل واحدة لها غاية في حد ذاتها، بل وبمدى ما تقدمه تلك السعادة التي يمكن أن نعتبرها وحدة متكاملة فقط بواسطة الحساب الرياضي. والشيء المفيد لدى برادلي هو عدم محاولته تقليل قيمة الفعل الأخلاقي أو ربطه بالشعور بالمتعة؛ وأشار إلى أن المذهب النفعي الدجماطيقي أو العقائدي dogmatic utilitarian هو الذي يمكنه تحديد قيمة أو جودة الشيء من خلال الشعور بالمتعة أو السعادة(١٥).

المسئولية الأخلاقية والعقاب عند برادلي:

إذا تصفحنا في أعماق رجل الشارع أو الرجل العادي محاولين فهم ما بداخله عن مفهومه عن المسئولية الأخلاقية Moral responsibility وما يوجد داخل عقله، ذلك الذي يعبر به عن كونه مسئولًا أخلاقيًا (١٦)!.. نجد أن هناك من ذهب مل .Mr Mill –مثلًا– إلى أن المسئولية تساوي العقاب، على الرغم من أن ما كان موجود داخل عقله وقتئذ هو مفهوم المبتذلة أو المفهوم السوقي Vulgar، فضلًا عن أنه عبر عنه بشكل غير صحيح. فما يميز الأخلاق هو ضرورة الربط بين المسئولية وما يترتب عليها من عقاب، وبين العقاب وإيجاد الذنب أو معرفة السبب قبل اللجوء إلى المحاكمة الأخلاقية. ولكي نصل إلى الأهداف العملية نحتاج إلى التمييز بين المسئولية والمساءلة(١٧).

فالمسئولية تتضمن عامل أخلاقي، فلا أحد يكون مسئولًا ما لم يكن قادرًا على معرفة نوعية الأفعال الأخلاقية الخاصة به، وأيًا ما كان فنحن لا نستطيع أن نفترض أن هناك قدرة على الفهم والتمييز الأخلاقي على الدوام، فهناك بعض الحالات مثل الأطفال أو الأشخاص المجانين لا يمكن أن يكونوا مسئولين؛ وذلك لأنهم لا يوجد لديهم أية معرفة أو إرادة أخلاقية(١٨).

وهنا ترانا دائمًا ما نقول العبارة المشهورة "إذا أخذ الله ما وهب رفع عنه ما وجب"؛ بمعنى أن الإنسان إذا ما فقد العقل أو الفهم والإرادة البشرية التي تميزه عن غيره من بقية الكائنات؛ رُفعت عنه المسئولية أو المحاسبة على أفعاله.

لذا ذهب برادلي إلى أن في حالة غياب الفهم والإرادة الأخلاقية؛ يترتب عليها غياب المسئولية؛ أي لا يمكن أن توجد المسئولية ما لم يوجد الفهم والإرادة الأخلاقية. فالحيوان أو الإنسان الغبي – المتخلف عقليًا– غير محاسب(١٩). فلابد من قدر معين من الفهم أو الإرادة والإحساس لكي تُشكل أو تتمثل هذه المسئولية؛ أي لكي يكون الشخص مسئولًا(٢٠).

ولكن ماذا تعني المبتذلة Vulgar بالعقاب Punishment، وماذا يعني العقاب لدى المؤمنون بمبدأ الضرورة Necessity؟. وهنا ذهب برادلي إلى أن الفكرتين غير متوافقتين؛ فالبنسبة للمبتذلة فإنها ترى ضرورة الربط بين العقاب والذنب. فالعقاب هو العقاب عندما يطبق على الفرد. فمثلًا نحن نحكم بالعقوبة على البعض لأنهم يستحقوا ذلك وليس لسبب أخر، ولو أن العقاب وقع بسبب أخر وليس بسبب خطأً ما حدث؛ عندئذ سوف يقع الكثير من الظلم الفادح والأفعال اللاأخلاقية والجرائم المكروهة أو المنبوذة اجتماعيًا. ومن خلال وجهة النظر هذه نتسأل: لماذا استحق العقاب؟ وهنا ستكون الإجابة بسبب إنني مذنب أو إنني أخطأت، وإنني سُلبت من إرادتي وحرية اختياري وأدركت كينونتي في شيء عكس الشيء الصحيح(٢١).

فالعقاب بالتأكيد هو إنكار الخطأ على الشيء الصحيح، ولما كان الخطأ موجود داخل ذات أو إرادة المجرم، فإن الذات الخاصة به هي ذات مخطئة، وهي تُدرك من خلال صفاته وخصاله؛ تلك التي تتجسد فيها إرادته المخطئة وإنكاره للشيء الصحيح. ومن خلال إنكارنا لهذا الإصرار على الخطأ وإبادته كليًا أو حتى جزئيًا، فهذا يتمثل في الغرامة أو العقاب حتى الموت، فنحن بذلك نقضي على الخطأ ونؤكد على الشيء الصحيح، فكما أن الحق هو غاية في حد ذاته، فكذلك العقاب أيضًا هو غاية في حد ذاته(٢٢).

وهنا يرى الباحث كيف يكون العقاب حتى الموت للقضاء على الخطأ! فهنا يجب أن نفرق بين القضاء على الخطأ والتأكيد على الشيء الصحيح، والقضاء على الخاطئ، فهناك فرق شاسع بين أن نقضي على الخطأ أم نقضي على المخطئ، فمن الواجب علينا أن نكره ونُكره الخطأ ولكن لا نكره المخطئ، نبغض المعصية ولكن نرحم العاصي، ننتقد القول أو الفعل ولكن نحترم القائل؛ وذلك لأن مهمتنا أن نقضي على المرض لا على المريض.

أما بالنسبة لأصحاب مذهب الضرورة أو الحتميون لا يمثل العقاب عندهم غاية في حد ذاته، بل يوجد عندهم غايتين كافيتين لتبرير العقاب: وهما فائدة الدفاع عن النفس، وحماية الأخرين(٢٣). وأحيانًا ربما لا يعترف الحتميون بأن الذنب أو المذنب يستحق العقاب(٢٤).

ومن الجدير بالذكر أن الليبراليين أو المتحررين في تعارض مع مفهوم المبتذلة عن المسئولية، بل إنهم يفترضوا قدرًا من التنبؤ. كما أن مفهوم المسئولية لا يتوافق مع الحتميين الذين يفترضوا التنبؤ الكامل بالفعل البشري. ولقد سمى برادلي التنبؤ الكامل "بالتنبؤ العقلاني"؛ والتنبؤ العقلاني يقصد به الحساب المسبق بواسطة قوانين معينة، وبواسطة معلومات محددة معطاه عن النتائج. وعندما نقوم بهذا الحساب في حالة الفعل

البشري، فإن هذا يعني استنتاج الفعل البشري من عوامل ليست موجودة في شخصية الإنسان. وطبقًا لبرادلي فإن التنبؤ العقلاني الكامل يتناقض مع المفهوم العام للمسئولية؛ ويرجع ذلك إلى "لو أن الأفعال معروفة مسبقًا؛ فهذا يدل على وجودها من قبل، ومن ثم لا يتم المحاسبة على تلك الأفعال. وهذا يعني أن معرفة الشيء المسبقة تدل على وجوده[٢٥].

وبذلك يعتقد برادلي أن العقاب يكون من أجل العقاب[٢٦]. حيث إنه يرى أن الرغبة في تطبيق العقوبة على المذنب تأتي من باب الشعور بالثأر، بل ويُبرر العقاب بسبب ما يقدمه للفرد والمجتمع من تأثير جيد ومردود طيب، على الرغم من أن المبتذلة يطالبون بالقصاص عندما يكون الفرد ضحية لمخالفة ما، وعندما يكون غير واعيًا بالنواحي الإصلاحية والرادعة للعقاب[٢٧].

ولكن كل هذا غير كافي في تطبيق العقوبة؛ فلكي نعاقب شخصًا ما عما فعله، فلابد أن نرجع للوراء ونضع في إعتبارنا العوامل السببية التي أدت لذلك، مثل ما إذا كان الفرد ينتسب إلي مجتمع أخلاقي أم لا، وكذلك ما إذا كان حرًا وقت حدوث الفعل. وطبقًا للحتميين لا تتضمن المسئولية العقاب والعكس. ولكن يعتقد برادلي أن هذا يجعل من الصعب تفسير مفهوم العقاب عند المبتذلة. فطبقًا لمبدأ الضرورة Necessity "أنا غير معاقب إذن أنا غير مسئول أيضًا"[٢٨].

وبالتالي يوضح برادلي بأن مبدأ العقاب هو رد فعل أخلاقي، أي رد فعل الشخص الأخلاقي ضد الفرد الثائر المتمرد[٢٩]. ويبدو أن هناك تقارب بين قانون الأخلاق والقانون الطبيعي. فالقانون الطبيعي هو قانون وصفي لا يتطلب أي تبرير على نتائجه، وعلى العكس من ذلك فإن القوانين الأخلاقية تطورية ولديها دائمًا توجهات وتأثيرات خاصة بها. وعندما يطبق العقاب فهو يطبق من خلال القوانين الأخلاقية، ولابد أن يتضمن العقاب ذنب، وأن يكون العقاب على شيء ما تم فعله[٣٠].

ولهذا يعتقد برادلي بأن العقاب هو إنكار الشيء الخطأ، الأمر الذي يتطلب تعديل المسار وتصحيحه والتأكيد على الشيء الصحيح. كما أن العقاب يتضمن أشياء أكثر من الذنب، وبذلك لا يمكن تسميته إنتقامي أو جزائي، حتى وإن كان الإنتقام أو الجزاء هو أحد أنواع العقاب(٣١).

ومن الجدير بالذكر أن معظم الفلاسفة يرفضون ما يطلقون عليه تعددية العقوبات أو الجزاءات Penal pluralism وهي التي ترى أن العقاب لابد أن يشمل الكثير من الأهداف والقوانين الرادعة. وهذا ما تم رفضه نتيجة أن هذه الأهداف والقوانين الجزائية أو الإنتقامية تتعارض مع بعضها البعض(٣٢). وهناك من يرى أن القوانين الجزائية أو الإنتقامية (قوانين العقوبات) تجيب على العديد من التساؤلات، ويمكن أن تكون جنبًا إلى جنب مع نظرية العقوبة، فالقوانين الجزائية مثلًا تسأل لماذا يجب علينا معاقبة أحد الأفراد بدلًا من الآخر عند حدوث جريمة ما؟ أما عن القوانين الإنتقامية أو الرادعة Deterrence تسأل لماذا يجب علينا معاقبة الأفراد بشكل عام. والمشكلة هنا تكمن في عدم الوضوح، وما هو الدور الذي تلعبه النتائج في حالة معاقبة الأفراد من خلال تلك القوانين الإنتقامية الخاصة بهم؛ وقد أدى هذا إلى رفض معظم الفلاسفة لفكرة تعددية الجزاءات، على اعتبار أنها فكرة غير متماسكة وغير مرغوب فيها(٣٣).

وبالتالي يؤكد برادلي على مفهوم المبتذلة عن المسئولية والعقاب. وهو يرى أن الإنسان لابد أن يقوم بالفعل المكلف به بنفسه؛ أي يجب أن يكون هذا الإنسان الذي قام بالفعل، هو نفسه وقت وقوع الحدث مهما كانت نتائجه، ويجب أن يكون لديه الإحساس الكافي بمعرفة ماذا يفعل، وأن يعرف الخير من الشر؛ وهذا ما يؤكد على المسئولية الأخلاقية. وبالرغم من أن الجهل خطأ، إلا أن عدم المعرفة لا يلغي المحاسبة، وذلك لأن مدى درجة تطبيق ذلك ربما تكون بها بعض الشك؛ وذلك لأن البعض يؤكد على الفعل، والأخر يؤكد على النية.

المسئولية والإرادة الحرة عند برادلي:

يرى برادلي أن مذهب الإرادة الحرة هو ما يؤكد على حريتنا، فبدون الحرية لا يمكن أن تكون هناك مسئولية. فلو لم نكن أحرار فلا يمكن أن نكون مسئولين. ومن ثم لابد أن نمتلك الحرية كي نفعل الشيء طبقًا لإختيارتنا. فنحن أحرار لأننا نختار، وذلك يعني أن إختيارتنا ليست بالضرورة بوجود دافع، فمثلًا كونك أن تريد will أو أن ترغب desire هما شيئان مختلفان في النوع. فهناك إختلاف بينهما، حيث إن الرغبات لا تحمل ضغط على إرادتنا، وذلك لأن إرادة الفرد هي نفسه، والإنسان نفسه متفوق على رغباته... ومن ثم فحين توجد الحرية توجد المسئولية [٣٤].

ويصرح برادلي بأن مذهب الإرادة الحرة أو غير الحتمية في أبسط تعريف له هو أن الإنسان لكي يكون مسئولًا عن أي فعل، فلابد أن يكون حرًا، ليس فقط كي يؤدي ما يريد، ولكن أيضًا لكي يختار ما الذي يريده كي يؤديه. فالإنسان الحر من المفترض ألا يعرقله أو يقف أمامه أي شيء في عملية اختيار الأفعال أو في تنفيذها. وفي المقابل فإن مذهب الحتمية Determinism يصرح بأن أفعال الإنسان يمكن أن تكون متوقعة بالكامل وبشكل عقلاني من خلال تلك الحسابات السابقة المعتمدة على القوانين المحددة سلفًا والبيانات المعطاه[٣٥]. في حين أن اللاحتميين Indeterminist يصروا بأن إرادة الإنسان تختلف عن رغباته وليست عرض لها، ومن ثم فإن حرية الفرد وأيضًا مسئوليته تنبع من الحقيقة بأن الإرادة تختار رغباتها بشكل مستقل. فضلًا عن أن وجهة نظر المبتذلة تتفق مع هذا الرأي[٣٦].

ومن الجدير بالذكر أن برادلي يرى أن الإرادة الحرة لا تعني عدم الحتمية Non-determinism، فالإرادة لا تتحدد بأي شيء أخر كي تقوم بالفعل، كما أنها لا تتحدد بأي شيء على الإطلاق. فضلًا عن أن تحديد الذات Self-Determination يعني أن الذات ربما تدرك نفسها من خلال هذا أو ذاك والأشياء الخاصة الأخرى؛ ولكن لا يوجد سبب لماذا تتحدد بهذا السبب وليس الأخر، فلا يوجد ربط عقلاني بين

الجانبين، فضلًا عن أنه لا يوجد في الذات ما يحفز هذا عن ذاك... فالحرية تكون في اقتناص الفرصة Chance فأنت حر بسبب أنه لا يوجد مبرر يحاسبك على أفعالك، وبسبب أنه لا يوجد أي إنسان في العالم ولا حتى نفسك يمكن أن يحدد ماذا تريد وما لا تريد أن تفعله، ولكنك محاسب أو مسئول بشكل محدد، وليس أنك مخلوق غير محاسب نهائيًا(٣٧).

لذا يقول برادلي إن الحرية تعني استغلال الفرصة المناسبة، فلو استطعنا نحن أن نفعل شيء أو لا نفعل الشيء تحت أي ظرف من الظروف أو لو أعطينا بدائل نختار منها، فنحن في تلك الحالة نستطيع أن نختار، وعندئذ يكون من الممكن أن أي فعل يصدر عن الإنسان –ذلك الذي يشكل الإرتباط اللاعقلاني بين الفعل والفاعل– ينجح في إعادة التأكيد على شكل الفرصة(٣٨).

ففي مسألة الاختيار يؤكد برادلي على أن الاختيار لابد أن يكون بين شيئين كلاهما مرغوب فيه من قِبل الفرد، كما أن مسألة الاختيار لابد أن تتضمن رفض أحد الاقتراحات أو الإختيارات(٣٩). وفي ذلك يقول برادلي "إن الفرد يتحرك تجاه أية فكرة مقترحة كما يتحرك من خلال أفكاره الخاصة تجاه الغاية القصوى، وفي كلتا الحالتين يمتلك الفرد وسائل مساعدة، تلك التي لابد أن تتحدد بوسطة الإنتقال بين الغايات(٤٠). ولكن على الجانب الأخر إن إنطباعتنا عن الحرية والتي أسماها هنري سدجويك التأكيد المباشر للوعي في لحظة الفعل المتعمد"، هي في تعارض مباشر مع مفهوم العلية، وهذا الجدال ينبع من عدم التوافق الموجود بينهما(٤١).

إن قضية الإرادة الحرة تظهر من خلال التعارض مع قانون العلية. فمن جهة العلم نجد أن كل الظواهر التي نفكر بها هي مرتبطة بشكل سببي... وإذا نظرنا إلى التواصل العلي أو الإرتباط السببي وهو أن الحدث والسبب cause – event، والحدث والنتيجة effect – event، نجد أنهما مرتبطين ببعضهما البعض. فأحيانًا نجد أن هذا الإرتباط الدائم يُوضَّح على أنه علاقة ضرورية، وأحيانًا أخرى نجد أنه في شكل نتيجة

عادية. ففي كل الأحوال هذا يعني تقديم السبب ثم تتبعه النتيجة بشكل منتظم، فعلى سبيل المثال، إن النتيجة تتحدد بالسبب عندما يكون السبب معروف، ومن ثم فإن النتيجة يمكن أن نتنبأ بها. هذا التحديد العلي عندما يمتد إلى العقل البشري، فهو يعني أن العقل يتبع الإرادة، والذي يأتي بعد ذلك يكون من الشخص والظروف المحيطة. ففي مثل هذه الأحداث المادية نجد أن كل الظواهر العقلانية هي بسبب القانون العلي ومبدأ الضرورة(٤٢).

وبذلك فإننا نواجه العديد من الصعوبات عند تحديد معنى الإرادة الحرة؛ فأحيانًا نعتقد بأن الإرادة الحرة تعني أن إرادتنا حرة بل وفي كامل حريتها؛ ونعني أن إرادتنا تعمل مثلما تريد وترغب... ولكن عادة لا نعني أن إرادتنا حرة من خلال مفهوم الإرادة الحرة؛ ولكننا نعني بأننا أحرار حينما نريد شيء ونرغب فيه. ومن ثم فآراء الفلاسفة متعددة عن الحرية طبقًا لفلسفاتهم. ونتيجة لذلك أحيانًا يقال بأن الإرادة الحرة تعني الإرادة غير السببية، وفي أوقات أخرى يقال بأن الإرادة الحرة تعني الإرادة السببية(٤٣).

ويرى برادلي أنه بالنسبة للفلاسفة التجريبيين مثل هيوم ومل، فإن شرح مفهوم الإرادة الحرة ليس ضد الضرورة العلية؛ لأنه لا يوجد شيء يمكن أن يحدث بدون سبب، بل على العكس فإن الأفعال الحرة هي أفعال سببية. والجدير بالذكر أن حرية الإختيار ليست في توافق مع القانون العلي؛ وذلك لأن العلاقات السببية هي علاقات ناشئة من تلاحق السبب والنتيجة، فعلى سبيل المثال إذا أعطينا السبب فإن النتيجة تتبعه ولا يمكن أن يكون العكس. ففكرة الإختيار الحر مرتبطة بالقوانين القضائية والأخلاقية، فمفاهيم المسئولية الأخلاقية، العقاب، واللوم تفترض مسبقًا وجود الإختيار الحر. ومن ثم فلا يمكننا أن نطلق على إنسانٍ مسئول أخلاقيًا لفعله هذا الفعل بدون إختياره، ولا يمكننا أن نعاقب شخص على فعل ليس لديه إختيار فيه. فالإرادة الحرة من وجهة نظر أصحاب النظرية التجريبية لا يمكنها أن تؤكد على وجود الإختيار في الأفعال الطوعية(٤٤).

ويرى برادلي أن المثاليين –أيضًا– قد بحثوا عن حل للمشكلة من منظور أخر، فمفهوم الإرادة لا يتضمن فقط مفهوم الإختيار، ولكن أيضًا مفهوم الذات الشخصية. فالإرادة الحرة تعني "أنا" حر بحيث يمكنني أن أريد وأرغب كيفما أشاء. فالفعل هنا يأتي من شخصيتي أو من ذاتي، وبالتحديد فالإرادة تأتي من الذات. والمثاليين في تفسيرهم لمفهوم الإرادة الحرة قد أعطوا أهمية لمفهوم الذات العاقلة التي تأتي منها الأفعال في نهاية الأمر. ولما كانت الذات عاقلة، فإن الأفعال التي تأتي بعد ذلك تهدف إلى أن تكون متماسكة، وتتقدم تجاه إدراك الهدف الأعظم(٤٥).

ومن الملاحظ هنا أن برادلي قد تناول مشكلة الإرادة الحرة من زاوية مختلفة، فهو لم يهتم بالتساؤل: هل الأفعال البشرية يمكن أن تكون حرة في وجود الضرورة العلية؟ بالإضافة إلى أنه استنتج من خلال هذا التساؤل: لماذا نكون أخلاقيين؟ وما هو تبرير ما يسمى بالإلزام الأخلاقي؟ ومن الواضح أنه نقل القضية من منطقة العلية إلى مجال الإدراك الذاتي الذي يمثل ربط مميز للأخلاق مع الميتافيزيقا.

علاوة على ذلك فعلى عكس المناصرين لمبدأ الإرادة الحرة، ظل برادلي يقول بأن الإنسان ذو العقل السليم ليس لديه مشكلة في التنبؤ بأي عمل يصدر من شخصيته، إلا أنه قد وجد أن هذا التنبؤ غير متوافق مع مفهومه عن المسئولية تجاه الأفعال(٤٦). بالإضافة إلى أنه قد يرى أن التنبؤ هو شيء موجود داخل الإنسان منذ بداية وجوده. ويرى أن الهدف من التنبؤ هو التأهيل أو الإستعداد الكامل للشيء من خلال إسناده للأصل. وبعبارة أخرى عندما نحكم على شيء فنحن ننشد من ذلك فهم الإحساس المتعلق بالمصطلحات الخاصة بالأحكام المرتبطة بالشيء. كما أنه يرى أن التنبؤ لابد أن يكون ذاتيًا أو شخصيًا بشكل كامل. ولو أن التنبؤ بشيء أصبح حقيقيًا بواسطة شيء غير معروف، عندئذ تكون تلك الحقيقة هي خاطئة ومضللة، وبذلك فإن التنبؤ يكون غامضًا، وفي تلك الحالة يمكن أن يصبح صحيحًا أو خاطئًا(٤٧).

فضلًا عن ذلك يرى بعض الفلاسفة أنه من الخطأ أن نقترح أن التنبؤ لا يعد بمثابة فضيلة أخلاقية؛ وذلك لأن الفضيلة لابد أن تكون من ضمن الأشياء التي يصل إليها أي فرد يسعى إليها، وبعض الناس جاهلون بالأشياء الأساسية للحياة البشرية، ولكن البعض الأخر من الناس حكماء بشكل كاف دون أن يكونوا مطلعين على تلك الأشياء، وذلك لأنهم يصنعون قرارات جيدة ويعرفون ما يقولونه بالضبط.

الوعي الأخلاقي عند برادلي:

قام برادلي بوصف النفس الخيرة والشريرة التي تكون من مكونات الوعي الأخلاقي؛ وذلك لكي يبين كيف يصبح الإنسان واعٍ أخلاقيًا. حيث إنه يقول عن الوعي الأخلاقي إن الإنسان لا نطلق عليه خيرًا بسبب أنه غني، وليس بسبب أنه أنيق أو ماهر، ولكنه يكون خيرًا عندما يكون إنسان أخلاقي. ومتى يكون أخلاقي؟ عندما تكون أفعاله متوافقة ومتجسدة مع الإرادة الخيرة أي عندما تكون إرادته خيرة(٤٨).

ولتوضيح ذلك فإن الإنسان يحوي مجموعة من العناصر الطبيعية التي هي ليست بالخيرة ولا بالسيئة. ويصرح برادلي بأن كل إنسان يطور إرادته الخيرة أو السيئة من خلال تطوره الجسدي، وهو على وعي بتلك العناصر المتباينة داخل نفسه. فنمو الإرادة الخيرة أو السيئة توازي نواحي أخرى في التطور الجسدي. فالطفل الصغير لديه مشاعر عن نفسه، تلك المشاعر تنتج عنها الإحساس بالسعادة أو الألم على التوالي، ومحتوى هذه المشاعر يبدأ هو في تجسيدها على بعض الأشياء، وبعض تلك الأشياء تكون عابرة مثل شهوة الأكل أو إشباع الشهية التي تختفي بمجرد إشباعها، وهنا يتعلم الطفل ربط تلك المشاعر بواسطة الأشياء.

ويؤكد برادلي بأن التعليم الأخلاقي يبدأ عندما يربط الطفل بين أفعاله الخاصة وما يختبره من مشاعر السعادة والألم كرد فعل للإرادة. فالفعل الذي يكون طبقًا لإرادته يحمل له نوعًا من السعادة، وفي النهاية يتحدد كنشاط للإرادة الخيرة(٤٩). كما أن الإرادة السيئة تتطور بشكل مماثل وتعتمد على الشهية الحساسة والميول الطبيعية كي تعبر

عن نفسها من خلال أنشطة معينة، وهي في تعارض مع الإرادة الخيرة. فالإرادة السيئة لديها إتساق داخلي أيضًا؛ فكل ميولها وعاداتها المتنوعة تهدف إلى أن تكون متناقضة ذاتيًا. وفي المقابل فإن محتوى الذات الخيرة يشكل إتحاد متجانس. فمثلًا الإحساس بالوحدة يتحقق عندما يعي الطفل فعله ذلك بنفسه أي يكون واعٍ ذاتيًا؛ ومن ثم يكون لديه القدرة على التأكيد على الشيء الخير بأنه خير، وعلى الشيء السيء بأنه سيء. ويصرح برادلي بأن هناك ثلاث عناصر نعبر من خلالها عن الوعي الذاتي، ومن ثم على المجال الأخلاقي وهم: المعرفة بالخير، والمعرفة بالشر، وإرادة الذات الواعية. فلكي نعرف ما هو الخير؛ لابد أن نعرف ما هو الشر والعكس(٥٠).

ولذا يقول برادلي "لو أن شخص ما لا يعرف ما هو الشر، فيصبح الخير الأخلاقي بالنسبة له بلا معنى، ومن ثم لا يمكننا معرفة الخير الأخلاقي بدون معرفتنا للشر(٥١). ويصر برادلي على أنه من خلال التأكيد على الإرادة الخيرة فقط، يستطيع الإنسان أن يدرك نفسه بشكل صحيح(٥٢). ويقول في ذلك إن الإرادة الخيرة تعمل على رُقي الإنسان، حيث إنها تعبر عن كيانه الحقيقي، وهي في توافق تام فضلًا عن أنها تعمل طبقًا لنظام. وبذلك إذا نظرنا إلى محتواها داخل إرادتنا، فسوف نشعر بأننا ندرك أنفسنا كأننا شيئًا حقيقيًا مطلقًا، وأننا كلٍ متناسق، حيث إن محتوى الإرادة الخيرة يندرج داخل طبيعتنا المحسوسة(٥٣). فلكي نكون أخلاقيين لابد للإنسان أن يعمل على تحقيق ذاته وإنجاز واجباته داخل نطاق الإرادة الأخلاقية. فواجبات الفرد هي محتوى الإرادة لدى هذا الفرد، وبإدراك ذلك هو يدرك إرادة الكل والذات الحقيقية بشكل معرفي(٥٤).

ومن ثم يصرح برادلي أن المعرفة بالأخلاق هي عبارة عن المعرفة بأشكال محددة من الإرادة، ولما كانت الإرادة يمكن أن تُعرف –وذلك لأننا نعرف إرادتنا– ومن ثم فتلك الأشكال الخاصة بالإرادة تتطلب معرفة مباشرة وشخصية. ففكرة الحقد Hatred تُعني الشعور بالكراهية ولا يمكن أن تشعر بما ليس موجود بداخلك أو غير الذي تُكِنه بداخلك. فالتصور الأخلاقي لابد أن يقع من خلال الخبرة الأخلاقية(٥٥).

ولذلك يرى برادلي أن الوعي الأخلاقي ينطوي على أن ليس هناك شيء يسمى بالخير؛ ولكن هناك الإرادة الخيرة good will[٥٦].

ويضيف برادلي أن الإرادة الخيرة لا يمكن أن يكون لها معنى، إذا لم تكن تشمل إرادة كل الكائنات الحية. والإرادة الأخلاقية الحرة هي شيء يمتلكه الجميع. وفي شعور الإنسان بنفسه نجد أن هناك وعي بكونه عضو في مجتمع حيوي متكامل[٥٧]. وهناك من ذهب إلى أن الغاية من الأخلاق أو الوعي الأخلاقي عند برادلي تتمثل أولًا فيما يقوم به الإنسان من فعل وليس شيئًا أكثر من ذلك، حيث إن الفعل هو وسيلة ذلك، ومن ثم يتشكل الإدراك بالذات. وثانيًا إن ما نرغب فيه من أشياء أو أهداف إنما هي أشياء تتعلق بالذات، ودائمًا ما نشعر بها داخلنا أو داخل أنفسنا، ودائمًا ما تتحرك تلك الأهداف معنا؛ وذلك لأننا نشعر وكأننا نتعهد بعمل تلك الأفعال داخل أنفسنا[٥٨].

وقد ذهب برادلي إلى أن الوعي الأخلاقي يعد غاية في حد ذاته، ونحن نأخذ في الاعتبار شيئًا نقوم به ويترتب عليه خير ندركه. كما أن الأخلاق تختلف عن الفن؛ لأننا لا يمكننا صنع الفعل كوسيلة للحصول على النتائج، ومن ثم لا توجد وسائل، ولكن الشيء الذي يتم عمله يكون بواسطتي أنا ... فلابد أن أقوم أنا بعمل الشيء، ولابد أن أدرك الغاية من وراءه. فالأخلاق تتضمن كل ما نقوم به بواسطة أنفسنا، ولو أننا أعتبرنا هذه الأشياء غاية أو وسيلة، فلا يمكننا فصل الغايات عن الوسائل. وفي الحقيقة إن الغايات والوسائل لا يمكن تطبيقها هنا، ولا يوجد شيء خير غير الإرادة الخيرة. وبإختصار فبالنسبة للأخلاق فإن الغاية تتضمن فعل؛ والفعل يتضمن إدراك الذات self-realization [٥٩]. ويرى برادلي أن الأخلاق هي إدراك الذات داخل نطاق الإرادة الشخصية[٦٠].

ويقول برادلي إن الفعل الأخلاقي يدركه الفرد، وذلك لأنه لديه معرفة عن الشيء الخير والشيء السيئ، والنشاط الأخلاقي يؤكد على الشيء الخير وليس العكس. وهذا يعني أن الشيء غير الأخلاقي لابد أن يوجد كالأحوال العارضة للأخلاق؛ وينبغي

على الإرادة الأخلاقية أن تدرك أهدافها، ومن ثم ينبغي تحطيم الشيء السيئ واللا أخلاقي بواسطة تحويل الطاقة المستخدمة في الشيء السيئ إلى الشيء الخير أو الإيجابي(٦١).

ويرى برادلي أنه يوجد بعض القيم الاجتماعية المعينة التي يعد إدراكها عبارة عن واجب أخلاقي، ولكنها لا تتضمن علاقات مباشرة مع الأشخاص الأخرين، وهو يصر على أن الحكم الغريزي لكل الأشخاص لابد أن يُوضع في الإعتبار(٦٢). ويقول برادلي أنه من الواجب الأخلاقي للفنان أو المتعلم أن يعمل على إرشاد أو إصلاح حياة الإنسان العادي، وإن لم يفعل ذلك فيكون عرضة للوقوع في مخالفة أخلاقية حال فشله في عمل ذلك(٦٣). ويؤكد برادلي على أن الأخلاق المثالية تعتمد أساسًا على الأخلاق الاجتماعية(٦٤).

وقد رفض برادلي اعتبار أن المجتمع هو الغاية القصوى للسعي وراء الحقيقة، معلقًا على ذلك بقوله: "بالنسبة لي يبدو حقيقيًا أن الوعي الأخلاقي moral consciousness يعمل على إدراك دقة وإتقان جمال الطبيعة العقلانية والفنية والحصول على نتائج صحيحة، لكي تكون غاية في حد ذاتها وليست وسائل، ولكي نقول إن العلم والفن بدون المجتمع لا ينهضا فهذا صحيح، وأنه بعيدًا عن المجتمع فإن حياة الفنان أو العالِم لا تسير بشكل طبيعي فهذا أيضًا صحيح؛ ولكن الحقيقة لا تذهب وراء أن المجتمع هو الغاية القصوى، ولابد أن نضع في إعتبارنا جميع الأمور كي تكون الغاية لكل ما يوجد. فالإنسان لا يمكن أن يكون إنسانًا ما لم يكن اجتماعي، ولا يمكن أن يتفوق على الحيوانات إذا لم يكن أكثر من اجتماعي(٦٥).

ويعلق الباحث هنا ويردد العبارة المشهورة "إن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه"، أي أنه يعيش ويتعايش داخل المجتمع الذي يوجد فيه، وهو البوتقة التي تضم الجميع، والكل يتأثر ويؤثر في الأخر؛ كما أن الإنسان الاجتماعي هو بالضرورة كائن حي أخلاقي. فالإنسان وليد البيئة التي يولد فيها يتأثر بطباعها ويؤثر فيها. فضلًا عن ذلك

حينما نقول إن الإنسان حيوان ناطق بمعنى أنه يشترك مع الحيوان في التركيب، ولكنه يختلف عنه ويتفوق عليه بالفكر والعقل، ومن ثم يمكننا أن نقول إن هناك الكثير من الخِصال أو الصفات التي تجعله يتفوق على الحيوان كأن نقول: الإنسان حيوان سياسي أو أخلاقي أو ديني.. إلخ.

السعادة وعلاقتها بالأخلاق عند برادلي:

لقد استخدم برادلي مفهوم المشاعر ووضح أن المشاعر هي الوحدة المباشرة في مركز الجسد المحدود، ولا يجب أن تُفهم المشاعر على أنها مجرد المشاعر الخاصة بالعقل mind أو الوعي consciousness، ولكنها تعني الحالة العامة أو أي شيء موجود في أية مرحلة من مراحل الحياة العقلية. ومن ثم يمكن القول بإن المشاعر هي بمثابة أي شيء فعلي، وأيًا كان هذا الشيء فلابد من الشعور أو الإحساس به [٦٦].

وتعد المشاعر بالنسبة لبرادلي بمثابة الحدس عن الواقع... وقد إصطدم هنا مع مشكلة كيفية إمكانية ملاحظة الفرد للأشياء التي يشعر بها دون إلغاء شخصيته التي يحس بها، وهو يرى أن الشعور الخاص بالوعي الذاتي أو العواطف المحدودة التي تؤثر على إهتمامنا، لا تلغي الخلفية الحسية التي تستخلص منها العواطف. وفي هذا الشأن صرح برادلي لكي يكون لديك شيء محسوس، لابد أن يكون لديك نفس حساسة felt-self قبل قدوم هذا الشيء، وتلك الذات أو النفس الحساسة لا يمكنها أبدا أن تتحول إلى ذلك الشيء. كما أن هذا الشيء لا يمكن أن يسبق النفس الحساسة. وذهب برادلي أيضًا إلى أن تلك الألغاز تبقى دون حل حتى يمكن الشعور بها، وذلك لأن الشيء قبل الإحساس به لا يمكن أن يكون حاضرًا أو فعالًا[٦٧].

ومن الملاحظ أنه يوجد غموض إصطلاحي عند تطبيق مصطلح الشيء المحسوس؛ وذلك لأن الشيء يمكن الشعور به، بل ولابد أن نشعر به طالما فكرنا به وحكمنا عليه، ومن ثم يتم تشكيله وبناؤه. وبالإضافة إلى أن الشيء المحسوس لا يمكن أن يكون شيء موضوعي بأي حال من الأحوال، فهو يشير إلى وجود المشاعر بل

وأيضًا إلى تدفق المشاعر. وهنا ليست كل المشاعر تحتاج إلى أشياء متضمنة contain objects، ولكن بعضًا منها هي عبارة عن تدفق للمشاعر بشكل خالص؛ بمعنى أن المشاعر تتدفق بشكل خالص دون أن تتضمن أشياء نشعر أو نحس بها. فالمشاعر في حد ذاتها لها وجودها الخاص(٦٨).

ويقول برادلي بالنسبة للسعادة هل تُدرك في قمة الشيء climax أم أنها عديمة القيمة pathos أو إنها سخرية فارغة؟ وهل السعادة غاية؟... إن السعادة هي غاية بالنسبة لنا نحاول الوصول إليها، وهي حقيقية وواضحة ويمكن أن نجدها طالما نسعى إليها. والسؤال هنا ما هي السعادة؟ فالسعادة هي شيء غامض vague؛ وذلك لأنها تتبلور بشكل غير مادي أو محسوس، ولكن هناك غاية يسعى إليها الإنسان ويحاول إيجادها، تلك التي لا شك فيها، وهي حقيقية وملموسة ونحس من خلالها بالسعادة. وأن غايتها هي المتعة pleasure. والمتعة هي شيء نكون متأكدين منه، وهي شيء يمكن إيجاده أو الحصول عليه، بل هي غاية الإنسان والحيوان، وهي الشيء الوحيد الذي يستحق العيش له، وهي الشيء الذي نعيش له ونرغب فيه بالفعل(٦٩).

والجدير بالذكر أن مذهب اللذة Hedonism لا يعني بحث الفرد من أجل لذته أو متعته؛ فهو عبارة عن سعي الفرد وراء اللذة أو المتعة بشكل أناني. ومن الواضح أن المذهب النفعي utiliarianism هدفه ليس سعادة الفرد، ولكن سعادة الكل، بل أعلى درجة من المتعة وأقل درجة من الألم تشعر بها كل الكائنات الحية الحساسة(٧٠).

إن السعادة من أجل السعادة هي غاية في حد ذاتها، وهي وسيلة للمتعة، وهذا متناقض مع المعتقدات الأخلاقية السائدة، فضلًا عن أن مذهب اللذة من خلال تلك المعتقدات يعد شيء غير أخلاقي وغير واقعي. وبالنسبة لطبيعة السعادة؛ فالسعادة والألم هي مجرد مشاعر، وهي لا شيء أكثر من أنها مشاعر. وربما نطلق عليهما نموذجين من مشاعر الذات self-feeling(٧١).

فالسعادة للرجل العادي هي ليست وسيلة للمتعة ولا عدد من المتع، ولكنها تعني بشكل عام إيجاد الشخص لنفسه أو الرضا عن نفسه ككل متكامل، وهي تعني بشكل خاص إدراك الحياة المثالية المحسوسة. ولكن الشخص اللذِّي يقول بأن السعادة هي المتعة. واللذِّي يعرف السعادة كأنها كلٍ متكامل. والسعادة تدرك من خلال مجموعة اللحظات الخاصة بالذات الشعورية felt-self. والاتجاه العملي ينطوي على الحصول على كل المتع؛ وبالتالي نحصل على السعادة(٧٢). ويضيف برادلي أن المشاعر هي مجرد كل محسوس يمكن أن نختبره كحقيقة فعلية، ومع ذلك هناك إدعاء بأن هذه المشاعر والخبرة المباشرة هي طريقة لفهم الذات(٧٣).

ويشير برادلي متبعًا هيجل إلى أن الذات هي مجموعة من الحالات التي تدرك نفسها من خلال الأفعال والموضوعات أو الأشياء التي نقوم بها. والذات لا تجد ما يرضيها في ذلك الشيء الذي يسمى السعادة. كما دون برادلي بأن الإنسان العادي يبني له حياة مثالية كوحدة منهجية منظمة مكونة من عناصر عديدة من خلال ما يمكن أن تدركه هويته(٧٤).

ويذكر برادلي أن المشاعر يمكن أن نعتبرها إلهام يكشف عن حقيقة الذات. والمشاعر من الممكن أن تدرك من خلال الإحساسات المختلفة؛ فالمشاعر يمكن أن تأتي من الإحساسات العادية المتعددة التي ليس لها أساس ولكن بدون حدوث أية تناقضات... ويوضح برادلي أن المشاعر المحددة لا يمكن أن تجعل من تعددية Diversity المحتوى العقلاني للشخصية في إنسجام وتوافق؛ فالمشاعر قابلة للتغيير وهي أيضًا نسبية وجزئية، ومن ثم فهي غير قادرة على تبرير واقع الذات(٧٥). والمشاعر المجردة ليست لديها القوة لتبرير واقع الذات... ولكنها ربما تكون متوافقة مع بعض الأشكال من الوعي الذاتي، وبالتالي فتلك الوسائل المتاحة يمكن أن تمدنا بمفتاح الذات(٧٦).

ومن خلال وجهة نظر برادلي عن المشاعر من حيث إنها تأتي من خلال الشعور بالمتعة أو الألم. فمن المهم له أن يقر بأن الألم الذي نشعر به لا يعمل كدافع لأفعالنا. وهنا بهذه الطريقة هل من الممكن الهروب من الوقوع فريسة للموقف اللذِّي؟ يوضح برادلي بأنه لا ينكر بأن ما نشعر به يمكن أن يحركنا كي نعمل، فما ينكره هو وجهة النظر التي ترى أن المتعة التي نشعر بها هي دافع، بينما المتعة التي نفكر بها ربما تعمل كدافع في بعض الأوقات، في حين أن المتعة التي نشعر بها لا يمكنها ذلك(٧٧).

وقد ذهب برادلي إلى أن "المتعة هي الشعور بإدراك الذات أو هي حالة الذات الشعورية felt-self"(٧٨). ولما كانت المتعة هي الشعور بإدراك الذات، فهذا يوضح لنا أن نظرية برادلي عن الأخلاق هي عبارة عن إدراك الذات، وهذا يوضح أيضًا لماذا يهتم برادلي بالتمييز بين المتعة المحسوسة والمتعة التي نفكر بها كدافع لأفعالنا.

وهنا يمكننا الإشارة للمشاعر الغريزية عند برادلي على أنها معيار الحقيقة الفلسفية. ويؤمن برادلي بأنها الحكم النهائي على كفاءة أية نظرية ثم إحداثها. فأية نظرية فلسفية يمكن قبولها أو رفضها، وذلك بناءً على مدى قناعتنا أو رضانا بها أولًا. وهذا الإقتناع ينتج من إدراك المشكلة المعروضة على نطاق واسع. ويمكننا القول بأن برادلي تبنى وجهة النظر هذه؛ لأنه كان يعتقد بأن من خلال مستوى معين من المشاعر يمكننا أن نرتبط مباشرة بالواقع. فالتفكير المجرد غير قادر على إدراك وتصحيح أخطاؤنا وعيوبنا أو المشاكل المحيطة بنا.

وبالنسبة لبرادلي فإن هدف الفعل الأخلاقي هو أكثر من مجرد السعادة التي ترافق أي فعل يقوم به الإنسان. حيث إنه يرى لكي تثبت أن هذا الفعل هو فعل أخلاقي؛ لابد لهذا الفعل أن يدرك الأهداف المركبة والموحدة التي يعيش من أجلها الإنسان(٧٩). ويوضح برادلي بأن الطفل لديه علاقة بالأشياء والأشخاص، وهو يرى أن

أول خطوة في تطور الطفل هو مشاعره بنفسه التي يؤكدها هو أو ينفيها من خلال الإحساسات الخاصة به، وبعد ذلك تتجسد محتويات هذه المشاعر في أشياء. وكذلك فكرة الإحساسات الممتعة أو المؤلمة تتحول إلى أشياء، وتصبح بعد ذلك جزءًا من محتوى مفاهيمه. والأشياء نوعين: نوعًا عابرًا يشبع شهيته التي يرغب فيها عندما يريدها، إلا أن أفكار الطفل عن تلك الأشياء لا تندرج ضمن محتوى الذات. وهناك أشياء لا يشعر فها بإستقلال خصوصيته أو عدم الاستقرار، وهي تلك الأشياء التي تثير إهتمامه. ومن هذا المنطلق فإن تلك الأفكار عن تلك الأشياء تدخل ضمن محتوى إرادته. والجدير بالذكر أن الأشخاص هم محط إهتمامه الأول عن الأشياء. فعلى سبيل المثال؛ الأم والممرضة تشبع احتياجات الطفل المتكررة يوميًا، مع العلم بأنه غير قادر على التمييز بينهما يحيث يستطيع أن يفرق بين والدته وممرضته، إلا أن كونه معهم يشعره بأنهما جزءًا من نفسه، وعندما يغادرون يشعر بعدم الاستقرار والحاجة إليهما(٨٠).

وقد ذهب برادلي إلى أن الذات تعيش من خلال محتوياتها الموجودة في العالم: كالأشياء والأشخاص التي تتداخل مع هذا المحتوى، ولسنا بحاجة لأن نعرف إلى أي مدى يؤدي التقدم في التصورات إلى أن وجود الأم أو الممرضة يُسِّعد أو يضايق الطفل. وهذا يعني أن الذات الكاملة تحتوى على أشياء وأشخاص موجودة في العالم، وأن الذات تقبل بالتبادل بين محتويات الذات وغير الذات(٨١). وبالنسبة له فإن التحكم بالمشاعر لا يتأثر فقط بفرض الإرادة الخيرة على تصرف أو ترتيبات الذات، كما أن الهدف من الصور الأخلاقية هو أن نشجع الطفل على أن يربط بين أفعاله وبين السعادة والألم الذي يختبره. فالمبادئ الأخلاقية تساعد في بناء العادات الجيدة وتشكيل الشخصية الأخلاقية. والإرادة الخيرة هي "العادة المهيئة للإستعداد formed habit of willing"، ولذلك فإن مشاعر الرضا التي تصاحب التأكيد على الذات هي التي تحدد سير الفعل في النهاية(٨٢).

لذا يرى برادلي أن المشاعر هي أساس إحساس الاستمرار مع الذات مع مرور الوقت، وهي عامل رئيس في الإتيان بالذات الخيرة والسيئة، وهي الحالة التي بدونها لا يمكن أن تنشأ معرفتنا بالخير والشر، وذلك لأن مشاعرنا الدائمة تكمن أساسًا في وعينا بالذات الخيرة التي تظهر على طبيعتنا، وهذا يخدم في إظهار كيف تكون نظرية برادلي عن المشاعر الأساس بالنسبة لنظريته عن الذات.

إدراك الذات وعلاقتها بالأخلاق عند برادلي:

من خلال تقديم برادلي لنظريته عن الأخلاق المثالية، أثار التساؤل التالي: هل الأخلاق وإدراك الذات هما الشيء نفسه، وإذا لم يكن ذلك فإلى أي مدى هما مختلفين؟ تلك القضية تعد وثيقة الصلة ليست فقط لعمله في مجال الفلسفة الأخلاقية، ولكن أيضًا لمنظوره الفلسفي. وهناك تساؤل آخر وهو هل الأخلاق ينظر إليها كحالة عليا لوجودنا؟.

وللإجابة على التساؤل الأول: هل الأخلاق وإدراك الذات هما الشيء نفسه؟ فقد مهد برادلي الطريق لذلك في كتابة "دراسات أخلاقية"، ووجد أن هناك بعض الاختلافات بين الأخلاق وإدراك الذات؛ فالذات لا تعد الإنسان أخلاقي بسبب أنه فنان أو عالم فاضل، على الرغم من أن هذا الإنسان يدرك نفسه من خلال الإرتباط بالتطورات العلمية والفنية. ولكن هل هذا يعني أن الأخلاق منفصلة عن المجال الخاص بها؟ فعلى الرغم من أن الأخلاق وإدراك الذات يختلفان في بعض الأمور، إلا أن الأخلاق – ما زالت– لا يمكن أن تكون بمنأى عن نواحٍ أخرى من حياتنا. وربما يكمن الحل في إقتراح ماثيو أرنولد Mattew Arnold بأن الأخلاق تغطي تسعة على عشرة من حياتنا، ويبقى واحد على عشرة غير أخلاقي، إلا أن برادلي عاب على إقتراح أرنولد؛ لأن هذا يستلزم منهج خاص ينقسم إلى أجزاء بدلًا من تمييز السمات(٨٣).

ويقول برادلي في هذا الشأن إن حياة الإنسان لا يمكن أن تتقطع إلى أجزاء، فلا يمكن أن نقول أنه في هذا الجزء كائن أخلاقي، وفي ذاك الجزء غير ذلك أي غير

أخلاقي. ولذلك لا يمكن أن ندرك الخير الأخلاقي للإنسان في هذا الجزء ولا نجده في الأخر... ولذلك لكي تكون رجلًا صالحًا في كل الأحوال وفي جميع الأماكن؛ يجب أن تحاول أن تنجز الأفضل وتقوم بعمل الأفضل سواء في قطاع العمل الخاص أو في المجتمع. ومن ثم فإخماد الذات السيئة وإدراك الذات الصالحة، تلك هي قاعدة الأخلاق(٨٤).

ويرى برادلي أن الذات الأخلاقية Moralized self تظهر في كل تفاصيل الحياة، وهي ليست مجرد مزاج أو تصرف غريزي، ولكنها محصلة أفعال عديدة للإرادة(٨٥). ولما كانت الذات الأخلاقية هي محصلة أفعال عديدة للإرادة، فهي بذلك تكون متشابكة مع الكيان الكامل لأنفسنا، ولذلك تصبح طبيعتنا الثانية، على الرغم من أنها لا تتزامن أبدًا مع ذاتنا الكاملة. وعلى الرغم أيضًا من أنها تظل مجرد مواصفات محدودة عن ذاتنا الداخلية، ومازالت تدريجيًا تدخل كياننا؛ فلذلك أينما نذهب هي تذهب معنا. ومن هنا لا يوجد مجال في حياتنا تغيب عنه. ويستنتج برادلي أن الأفعال العادية تقع داخل مجال الأخلاق، وليس هناك أية ناحية في الحياة تخلو منها الأخلاق(٨٦).

وفي هذا الشأن يقول برادلي إن من الواجب الأخلاقي أن نُدرك –في كل مكان– الذات الأفضل، والتي هي بالنسبة لنا في ذلك المجال الذات المثالية: وهنا نسأل ما هي الأخلاق؟ ولابد أن نجيب؛ فهي متشابكة مع إدراك الذات بمعنى إدراك الذات للذات الأفضل داخلنا وبواسطتنا(٨٧). يقول أيضًا إن الأخلاق هي مسألة إدراك الذات كأنها إرادة خيرة، وليست إدراك الذات من وجهات نظر متعددة، ولكن إدراكها من وجهة نظر واحدة: فكل شيء يتضمن الإرادة، وإذا كانت الإرادة صالحة؛ فهذا يعني إدراك الأخلاق. وبذلك فالأخلاق هي إدراك الذات داخل مجال الإرادة الشخصية(٨٨). فالأخلاق بالنسبة له هي عملية إدراك الذات، والرجل الأخلاقي هو الرجل الذي يدرك بشكل كامل الطبيعة البشرية. والفضيلة هي تفوق وإمتياز، وأكثر الأشياء إمتيازًا وتفوقًا هي أكثرها فضيلة(٨٩).

ومن وجهة نظر برادلي أنه ينسب للكائنات الحية الإدراك الذي يشكل الإدراك الحقيقي للذات، وهذا الإدراك هو بمثابة إدراك عقلاني متمثل في القوانين والعادات والأحكام الأخلاقية المشتركة. وهو يرى أن الحياة الخيرة بالنسبة للإنسان هي الحياة طبقًا للروح الأخلاقية الخاصة بالمجتمع، والتي يمكن تعلمها ليس من خلال نظريات المفكرين، ولكن من خلال الأحكام الحدسية Intuitive Judgment في القضايا الخاصة بالأشخاص الصادقين، تلك الأحكام تختلف من عصر إلى عصر ومن مجتمع إلى مجتمع. وبشكل ما فالأخلاق نسبية Relative، ولكن بالنسبة لنا في عصرنا هذا وفي مجتمعنا(٩٠). ويصف برادلي حياة الإنسان الأخلاقية على أنها تسير في تقدم دائم perpetual progress(٩١).

ويصرح برادلي أن مجال الأخلاق هو مجال الحياة كاملة، وهو يرى أن الوعي الأخلاقي دائمًا ما يضع تمييزات بين التفوق الأخلاقي وبين إمتيازات أخرى، مثل الجمال، القوة، الصحة، والحظ. لذلك يصر برادلي على أن ما يميز الخير الأخلاقي هو الإرادة الخيرة، وتحديد إرادتي –على سبيل المثال– مع الذات المثالية كإرادة عالمية(٩٢). وفي تحديد طبيعة الأخلاق المثالية الشخصية يتمسك برادلي بأن هدفها هو إدراك الإرادة المثالية الموجودة داخل إرادة الفرد (إرادتي). وإرادة الفرد كونها تدرك الإرادة المثالية فهي الإرادة الصالحة الخيرة. وذلك لأن الإرادة الخيرة هي إرادتي والتي لا ينبغي أن تفسر بمعنى أنها مجرد أنا؛ لأنها تعرض نفسها كإرادة عالمية ليس بمعنى أن كل فرد يعمل أو ينبغي أن يعمل ما أعمله، ولكن بمعنى لو أنهم في مكاني، فلابد أن يفعلوا ما يجب عليا فعله، ولو كان غير ذلك سوف يكون غير أخلاقي(٩٣). ومن الجدير بالذكر أن برادلي يطلق على نوعٍ أخر من الذات وهي الذات الخاطئة؛ بأنها تعني قدرة الفرد على إنغماس إرادته وفعله فيما يريد أيًا كان. والإنسان الذي تنغمس عواطفه وشهواته بأفعاله ربما يصبح عبدًا لها(٩٤). وبالتالي ذهب برادلي إلى أن الفرد العبد لشهواته ليس رجلًا حرًا(٩٥).

ويرى برادلي أن الإنسان من حيث إنه كائن أخلاقي فهو متناقض، وذلك لأن النشاط الأخلاقي يتضمن كفاح الفرد لإدراك الذات المثالية بواسطة تحديد الإرادة الخيرة مع الشيء المثالي. حيث إن غاية الإنسان الطبيعية هي أن يدرك نفسه كشيء مطلق وكذات كاملة، وهذا السلوك هو سلوك أخلاقي، لأنه يتضمن نشاط تحديد الإرادة الخيرة مع الإرادة المثالية العالمية... وبذلك يدرك الإنسان حاجته للنقل إلى المجال الأخلاقي كي يصل إلى إدراك الذات، والنقل هنا ليس مجرد الذهاب لشيء أعلى، ولكن إدراج نفسه داخل الكل المتناسق والشامل(٩٦).

والشيء بالشيء يذكر ففي جزئية أن الإنسان متناقض، فقد ذهب الباحث إلى أن هناك من يرى أننا لا نحيا إلا على متناقضات، ومن أجل متناقضات، وأن الحياة بأسرها ما هي إلا مأساة وصراعًا مستمرًا لا يعرف الإنتصار بل ولا حتى أمل الإنتصار.. فهي تناقض ولا شيء سوى التناقض.

ويقول برادلي إن الذات لا تقبل بأن تجد نفسها بدون محتوى ملائم للتشكيل، ومن خلال هذا المحتوى يتم إدراكها(٩٧). ويتمسك بأن الذات هي شيء حقيقي fact وليس واقعي reality. فالذات هي مجرد مظهر appearance، ومع ذلك فهي كيان مطلق، وبالرغم من أنها ليست واقعية إلا أنها محفورة داخل الواقع ولديها أساس داخل الواقع. وتصبح الذات حقيقية عندما تتغلغل وتتحول لشيء حتمي ومطلق... فالذات تحصل على معناها الحقيقي عندما تنسجم وتتوافق مع الشيء المطلق The Absolute(٩٨). حيث إنه يشير إلى أن أي شيء محدود يحتوي على العديد من التناقضات داخل نفسه، ومن ثم فالذات مظهر وليست واقع(٩٩).

ويؤكد برادلي بأن الشيء المطلق هو حقيقي وفردي ولا نهائي وأنه مرتبط بالذات. فكل الأشياء المطلقة هي حقيقية وفردية وتعتمد على مدى التناغم بين طبيعتها، ولكن لكونها أشياء مطلقة، فهم عرضة للوقوع في التناقضات. ويرى برادلي بأن طبيعة الشيء غير المثالية هي التي تهدف إلى الكمال، ولكي نحقق هذا فإن

الشيء المطلق لابد أن يتجاوز ويتفوق على نفسه، بواسطة دمجه مع الكل المتكامل، والذي من خلاله ربما نصل لحل تلك التناقضات بشكلها المحدود. ويؤكد برادلي أن طبيعة الإنسان لا تتضمن فقط المثابرة، ولكن أكثر من ذلك، فيهدف الإنسان لتوسيع إمبراطوريته ليتفوق بنفسه على هذا وذاك، وأن يدرك العلو والذات الحقيقية التي تفصله عن الحيوانات؛ فإدراك الذات يعني أكثر من مجرد التأكيد على الذات(١٠٠).

ويهتم برادلي في كتابه "دراسات أخلاقية" بأن يؤكد على أن الذات التي تدرك في الفعل الإرادي، هي الذات الكاملة وليست ناحية جزئية من الذات(١٠١). فالذات ككل كما يؤكد برادلي هي في النهاية محتوى كل الإرادات والمجهودات تجاه إدراك الذات، وهي الرغبة الطبيعية من جانب الذات الكلية، للتعبير عن نفسها من خلال كل الغايات. فالذات تدرك من خلال كل الغايات، بل وإدراك المحتوى الملائم لتكوينها(١٠٢). ويقول برادلي لكي ندرك الذات يجب أن ندرك الكل whole، فإدراك الذات يعني أكثر من مجرد التأكيد على الذات ككل متكامل. فوجودنا الحقيقي هو ليس نهاية الوحدة أو التعددية ولكن الهوية المثالية لكلًا منها. كما أن إدراك أنفسنا لا يعني أن نكون كُلٍ، ولكن أن نكون كُل مطلق finite whole، ولكي ندرك أنفسنا ككل مطلق هو أن ندرك أنفسنا كأفراد واعية ذاتيًا للكل المطلق من خلال إدراكنا للكل في أنفسنا. فعندما يكون الكل هو شيء مطلق بشكل صحيح، وعندما تكون شخصيتنا مصنوعة بشكل كامل معه، فنحن بذلك نصل للتجانس في الشيء الواحد، ونصل بذلك لإدراك الذات بشكل واضح(١٠٣).

وقد ذهب برادلي إلى أن الوعي الذاتي لا يمكن أن يقدم أية معلومة أو معرفة واضحة عن حقيقة الذات، لأن الوعي الذاتي به العديد من التناقضات الخاصة به. والوحدة والتعددية لا يمكن أن تتصالح وتتوافق مع مفهوم الذات. فمهوم الذات يثير مشكلة محاولة ضم الإختلافات والتعددات داخل وحدة واحدة، ولذلك يؤكد برادلي بأن الذات ليست واقع، ولكنها هي بمثابة مظهر فقط(١٠٤). ويمكن توضيح ذلك من خلال

المثال التالي: أن الماء يمكن أن نحلله ونفسره من خلال عنصرين هما: الهيدروجين والأكسجين H_2o التي تكون المياه، ولكن هذا لا يعني أن الماء غير موجودة على الإطلاق ولا تروي عطشنا. وبشكل متشابه هنا حتى لو أن الذات لا يمكن شرحها؛ فهذا يعني أيضًا أنها موجودة وأنها تعمل وتقوم بفعل الأشياء(١٠٥).

ويقول برادلي إن إدراك الذات بالمعنى الدارج ليس فقط القدرة على تحقيق وإدراك القوى الكامنة، ولكن أيضًا إدراك أن تلك القوى هي هدف حياتنا. وطبقًا لبرادلي فإن كل مجهوداتنا وأفعالنا هي موجهة نحو إدراك الذات... وللتحدث بوضوح فإن إدراك الذات يعني منهجة وتنظيم وترشيد للحياة الأخلاقية؛ محاولين بذلك أن ننبذ كل التناقضات. ففكرة المسئولية الأخلاقية تُبرر من خلال محاولة حصولنا على ذات خيرة وليست ذات سيئة(١٠٦).

ويرى برادلي أن الذات هي جزء من الجسد وهي مجموعة من الإحساسات والمشاعر والأفكار، ولكنها أيضًا مجموعة من المحتويات الفكرية mental المجردة بشكل عام، ولما كانت العادات والأنماط السلوكية هي عُرضة للتغيير من وقت لأخر، لذلك فالطبيعة الحقيقية للذات هي شيء لا يمكن أن نعده معتمد على العلاقات التي تتغير. وعندما نفحص حياة الإنسان من بداية الحياة حتى الموت، فما نسميه بالذات هو مبدأ نهائي لا يمكن أن نجده، لأن كل مرحلة لدى الشخص تتغير عن المرحلة الأخرى بشكل جذري(١٠٧).

وبذلك فقد استخدم برادلي مصطلح "الإدراك الذاتي" في "دراسات أخلاقية" كي يحدد الغاية العظمى من الأفعال البشرية، ويكشف لنا عن المسافة بينه وبين خصومه ومعارضيه من المذهب النفعي. حيث إن النفعيين ليس لديهم أي اختيار، ولكنهم يعدون الذات هي مكان أو منبع الأحاسيس غير المحدودة من السعادة(١٠٨). وبالنسبة للذات الحقيقية للإنسان فهي لا يمكن أن تعتمد على العلاقات التي تتقلب أو تتغير، وذلك لأنه من الملاحظ خلال عمر الإنسان أن هناك تغيرات لا يمكن إصلاحها: مثل

الموت، الحب، الخسائر الفادحة، والتغيير الذي ينفي حياة الفرد بالكامل. فلو قمنا بعملية مسح لذات الإنسان منذ البداية حتى النهاية، فلا نستطيع أن نجد متوسط للذات. فالذات المعتادة في مرحلة ما، هي ليست الذات المعتادة في مرحلة أخرى، وأيضًا من المستحيل أن توجد تلك المحتويات المادية المتضاربة في كتلة واحدة... ويرى برادلي أن جوهر الذات هو ذلك المحتوى الذي يبقى هو نفسه بالرغم من التغييرات غير الجوهرية والطارئة. ولكن في المقابل نجد أن التغيير والتعدد يعد شيئًا ضروريًا لما نسميه بالذات أو الشخص؛ لذا فالذات الضرورية التي لا يطرأ عليها تغيير تعد ضعيفة للغاية لكي تكون ذات لأي شخص(١٠٩).

ولكي نفهم إدراك الذات كفعل أخلاقي فيبدو من الضروري أن نعرف أن الذات ليست شيئًا محدودًا، ولكن لديها جانبًا غير محدود. ويؤكد برادلي أن أية محاولة تجاه إدراك الذات لابد أن توجه من خلال إدراك الذات ككل مطلق. فالإنسان محدود لدرجة أنه عرضة للضغوط التي ربما لا يكون لديه تحكم ولو قليل فيها أو لا يوجد تحكم على الإطلاق، ومع ذلك فهو يتشكل من خلال العلاقات الخارجية. في حين أننا نلاحظ أن الشيء المحدود هو دائمًا مرتبط بشيءٍ خارجه، بينما الشيء المطلق هو الشيء المرتبط بالذات. وطبيعة الإنسان تتشارك في كلًا من الشيء المحدود والمطلق أو اللامتناهي infinite، وهو قادر على تعريف نفسه من خلالهم، بل إنه أيضًا عرضة لبعض التقييدات الخارجية(١١٠). فحياة الإنسان الأخلاقية تتميز بالنضال لإدراك الذات الكاملة بشكل مستمر على الدوام.

الذات الخيرة والسيئة عند برادلي:

ذهب برادلي إلى أن هذين النوعين من الذات (الخيرة والسيئة) موجودة عند الإنسان؛ فالذات الخيرة هي تلك التي تجلب السعادة والخير، والذات السيئة أو الشريرة هي التي تفعل الشيء السيئ والشر، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها(١١١). ويرى برادلي أن الذات الخيرة هي التي تدرك الذات المثالية وليست الذات السيئة، كما أن الذات الخيرة

والسيئة كـلًا منهمـا لديـه إرادة خاصـة، فالـذات الخيـرة تحظـى بالسـرور والخيـر. وهـذا يتضـمن أحـد المفـاهيم الأساسـية لنظريتـه عـن الـذات؛ وهـو مفهـوم تأكيـد الـذات self-affirmation. فبالنسبة له عندما تؤكد الذات على نفسها في شيء ما، فهي تحصل على السرور أو السعادة من هذا الشيء وبالتالي تحصل على الرضا، ومن ثم ترقى إلى أن تمتلك "مشاعر الذات المتعالية heightened self-feeling"[١١٢].

ولكن هل يعتقد برادلي أن الذات السيئة هي الذات الأنانية، بينما الذات الخيرة هي الذات غير الأنانية. ومن ثم فهناك إعتراض واضح للتمييز بينهما من خلال هذه المصطلحات؛ وذلك لأن كل الأفعال البشرية هي أفعال أنانية، وأن الطبيعة الخالصة لأفعالنا تتضمن أننا نفعل ما نقوم به من أجل المتعة والسرور. ومن خلال هذا الاعتراض فإن برادلي يمهد الطريق لفصل هذا الموقف عن مذهب اللذة. ويرى برادلي أن موضوع الأنانية العالمية universal egoism يمكن أن نعبر عنها من خلال العبارة "أنا أعمل ما أريد أن أفعله، وأنا أقوم به بسبب إنني أرغب في عمل ذلك". وهنا يؤكد برادلي أن هذا الشكل خاطئ أيضًا، حيث إن عبارة "بسبب" تعني أن الرغبة هي التي تحركني، فضلًا عن أن هذه العبارة تعد مجرد حشو زائد، حيث إنها تكرر مقولة أنا أفعل ما أريد عمله. وعلى العكس فلو أن عبارة "بسبب" فسرت على أنها " أنا أفعل كل شيء كوسيلة لغاية، عندئذ يعد هذا أيضًا خطأً كبيرًا؛ لأن هناك أفعال نقوم بها بدون قصد أو دافع، فعلى سبيل المثال ربما نلجأ إلى الأكل بسبب الإحساس بالجوع بدون تفكير وبشكل غريزي. وهناك أيضًا أفعال نقوم بها بتفكير ولكن بدون هدف، أي بعيدًا عن الفعل نفسه، فمثلًا ربما نأكل عن عمد هذا النوع من الأكل وليس غيره. وفي النهاية هناك أفعال بقصد ودافع؛ وهذه الأفعال يمكن أن تكون بدافع التفكير في فعل مخطط ما أو التفكير في الحصول على السعادة. وهذا الشعور بالرضا هو في بعض الأوقات دافع ينكر الأنانية العالمية[١١٣].

وعلى الرغم من أن برادلي يتمسك بأن الباحث عن المتعة هو أناني بلا شك، إلا أنه يؤكد على أن الأنانية في حد ذاتها لا يمكن أن تتساوى مع البحث عن المتعة. وقد ذهب برادلي إلى أن الأنانية هي "التفكير في نفسك"[١١٤]. وهذا يتضمن أننا كائنات واعية ذاتيًا ولا نفكر في شيء غير أنفسنا، وأننا نتعامل مع الأجسام كوسائل لراحتنا الشخصية. وبذلك تُعرف الأنانية بأنها استبعاد العواطف من الأفعال... ومن خلال هذا التعريف هل يمكن تعريف الذات السيئة بأنها أنانية[١١٥]. وهنا يرد برادلي بقوله "هذا ليس اسم عام للذات السيئة؛ حيث إن كل أنواع الأفعال الخاطئة لا يمكن أن نسميها أفعال أنانية؛ كإستسلام الضعيف، خداع النفس، الغرور، التكبر، الانتقام، بل وكل الرذائل الأخرى لا يمكن أن نطلق عليها هذا الوصف[١١٦].

ومن ثم يقول برادلي في هذا الشأن لو أن الأنانية هي السعي وراء الذات، ولو أن السعي وراء الذات هو أن لا نعمل أبدًا بعيدًا عن الرغبة، فضلًا عن أن رغبتنا لا تعمل أي شيء أبدًا غير ما نريده؛ عندئذ فإن كل الأفعال المتعمدة لابد أن تعد أنانية؛ وذلك لأن الفعل المتعمد بدون شيء هو غير ممكن، فالواجب ينجز من أجل الواجب فقط عندما يكون الواجب هو موضوع الرغبة، ومن ثم فإن الفكر الذي نؤيده أو نبغضه يجلب معه نتيجة عملية[١١٧].

ومن خلال التعامل مع أصل الذات الخيرة، ذكر برادلي أن الذات الخيرة هي الذات التي تحظى بالسعادة من خلال فعل الخير الأخلاقي الذي يهتم بالنشاطات والغايات التي تدرك الإرادة الخيرة. فالإرادة الخيرة هي الإرادة التي تدرك الذات المثالية. ومن ثم فإن الذات الخيرة هي الذات التي غايتها ومتعتها هي إدراك الذات المثالية[١١٨]. فضلًا عن أن الذات الخيرة تُعرف من خلال نوعية الفعل الذي يحصل منه الفرد على مصلحته الشخصية[١١٩]. وبذلك فالذات الخيرة هي الذات الأخلاقية، والذات الخيرة ترضينا بسبب أنها تمثل كياننا الحقيقي، وهي في الأساس متناسقة ومنسجمة ومنظمة. وبذلك إذا وضعنا محتواها داخل إرادتنا –بعدما ندرك ذلك– فسوف نشعر بأننا ندرك

أنفسنا كمطلق حقيقي وككل متناغم، من خلال محتواها مع نفسها من ناحية، ومع طبيعتنا المحسوسة من ناحية أخرى(١٢٠).

وبالنسبة لبرادلي فإن الذات المثالية التي تقدم الاتجاه الغائي Teleological direction والتي تتطلبها الذات في عملياتها لإدراكها، فإنها تُدرك بشكل جزئي من خلال الذات الخيرة، وأن الذات الخيرة هي التي تدرك التوافق والتناغم الذي تسعى له الذات، فضلًا عن أن الذات الخيرة تمثل طبيعة الذات المحسوسة في كمالها الملموس، وهذا يشكل وجهة نظر برادلي بأن الذات الخيرة هي ما ندرك أنفسنا من خلالها(١٢١). ولذا يصرح برادلي في هذا المقام إنه من الواجب الأخلاقي أن نُدرك الذات الأفضل في كل مكان، وهي بالنسبة لنا الذات المثالية. وهنا تظهر إجابة التساؤل عن ما هي الأخلاق؟ إنها متشابكة مع إدراك الذات؛ بمعنى إدراك الذات المثالية داخلنا وبواسطتنا.

أما عن تضحية الذات وتأكيد الذات من وجهة نظر برادلي، فنجد أن كلاهما طريقين يمكن من خلالهما الوصول للخير الأخلاقي، فالخير الأخلاقي يتضمن إدراك الكمال الخاص بالفرد. فمن خلال تأكيد الذات self-assertion فإن الفرد يعمل كي يدرك الكمال الخاص به، بينما في تضحية الذات self-sacrifice فإن الفرد يعمل كي يدرك غاية عامة. والخطأ الشائع في التعامل مع هذين الطريقين هو أن تُحدد التضحية بالذات بالحياة من أجل الأخرين، بينما تأكيد الذات فهي الحياة من أجل النفس(١٢٢).

ومن خلال تقسيم تضحية الذات وتأكيدها كطريقين للأخلاق؛ يستنتج برادلي بأن كلاهما لا يستطيعان أن يؤكدا على تحقيق الفرد لغايته. وبإيضاح أكثر فإن الغايات التي نسعى إليها ليست سهلة المنال بالكامل(١٢٣). فالفرد لا يستطيع أن يصنع لنفسه نظام متناسق، ولا يمكن أن يحصل على الإدراك الكامل للذات(١٢٤). وكنتيجة لذلك فإن الأخلاق تتطلب منا ما لا نستطيع أن نكونه؛ فهي تتطلب الكمال الأخلاقي الذي لا يكون داخل إمكانيات طبيعتنا المحدودة كي نحققه(١٢٥).

وفي هذا الشأن ذهب برادلي إلى أن الأخلاق تدل على الغاية في حد ذاتها، فضلًا عن أن الأخلاق تختلف عن الفن، وذلك لأنها لا يمكن أن تضع الفعل كمجرد وسيلة للغاية، ورغم ذلك هناك وسائل، فلا يوجد فقط شيء نقوم به، ولكن شيء نقوم به بواسطتي أنا... فلابد أن أقوم بعمل الفعل، ولابد أن أدرك الغاية. والأخلاق تتضمن كلتا الشيئين، ولو اعتبرناهما بمثابة غاية لوسيلة، فلا يمكن أن نفصل الغاية عن الوسيلة؛ مثل أن نقول إن الفعل الخاص بي هو هدف، وأن القيام به هو الوسيلة... فالفعل بالنسبة لي يعني فعلي ولا يوجد هدف بعيدًا عن هذا الفعل. وكما نرى في الاعتقاد الشائع بأن الفشل يمكن أن يكون حافزًا أخلاقيًا للنجاح... يقول برادلي بأن ليس هناك خيرًا فيما عدا الإرادة الخيرة. وبإختصار فإن الهدف يتضمن الفعل، والفعل يتضمن إدراك الذات(١٢٦).

وبإختصار فإن الخير يكمن في الإرادة الخيرة، والهدف هو إدراك الإرادة الخيرة داخل نفسي. ومن تلك الصفة فأنا غاية لنفسي، وأنا الغاية النهائية المطلقة، ولا يوجد شيئًا يكون خيرًا ما لم يكن هناك إرادة خيرة.

مفهوم الخير والشر عند برادلي:

أنكر برادلي أن الخير والشر يأتيا إلينا بواسطة الطبيعة، ولكنه يقبل بأن بعض الصفات تُنقل إلينا؛ وهي القدرات الحقيقية الخاصة بكلًا منهما... ولما كان الطفل هو بالفعل مخلوق طبيعي؛ فهو يولد مزودًا بأساس من العناصر الجسمانية والعقلانية، تلك التي تتطور في معظم الاتجاهات خيرًا كانت أم شرًا، بل وأكثر من أي شيئًا آخر، وذلك ما نطلق عليه القدرة الطبيعية(١٢٧).

وإنطلاقًا من أن الطفل يولد بنزعات وإمكانيات حقيقية لكل أشكال الخير والشر(١٢٨). يصرح برادلي بأن الذات تولد مهيئة أخلاقيًا ليست بالسوء ولا بالشر. ويرى أيضًا أن الذات تقع في العادات السيئة الطريقة نفسها التي تقوم فيها بالعادات

الخيرة[١٢٩]. فالأخلاق أيضًا تتطلب بأن الخير والشر يكونا في الوعي الذاتي، وأنه من غير الكافِ للذات أن تحدد بالخير من ناحية، وبالشر من ناحية أخرى، وأن تشعر بهذا التناقض[١٣٠].

وقد ذهب برادلي إلى القول بأنه ينبغي للفرد أن يمتلك شيئين على العكس من بعضهما، وهو في الوقت نفسه يقف عند تلك الشيئين؛ ففي تحديده الوعي بالذات الكاملة من خلال العمل بإحداهما أو الأخر تأتي معرفته بنفسه، وهنا يتم التأكيد على كون إرادته خيرة أو شريرة. وذلك هو شرط المسئولية والجزاء، وهنا تبدأ الحياة الأخلاقية للذات الحقيقية true self[١٣١]. وهو هنا يوضح أن الذات غير الواعية أو الذات الواعية أخلاقيًا لا يمكن أن تعرف هذا التقسيم داخلها عن الإرادة الخيرة أو السيئة[١٣٢]. وذلك لأن الوعي الذاتي هو شرط ظهور الذات الأخلاقية داخل الذات الكاملة. فالذات لابد أن ترغب في الخير بمعرفة مسبقة من أجل الصلاح، أو ترغب في الشر بمعرفة مسبقة من أجل الشر. حيث إن الذات الكاملة تستطيع أن تركز وجودها في هذه الذات، والتي تكون محط اهتمام من جانب الذات الخيرة أو السيئة... حيث إننا نعترف بأن الذات الخيرة أو السيئة هي الذات الخاصة بي، وتترتب عليها المسئولية والجزاء[١٣٣].

وإذا ما نظرنا إلى برادلي في تساؤله عن "ما هو الخير؟"، فنجد أنه يجيب بأنه لا يوجد شيء ليس خيرًا، فكل شيء مرتبط بشيءٍ أخر. وجوهر الخير هو أن يوجد بواسطة فضيلة شيء أخر، والفضيلة هنا هي وسيلة للسعادة، الألم، الصحة، المرض، الثروة، والفقر؛ وهي خيرة بسبب أنها وسيلة لخير... فأي شيء يمكن أن نأخذه كغاية فهو خير... وعمل الخير من أجل الخير هو فضيلة، ولكن عمله من أجل هدف أخر أو شيء ليس خيرًا لا يمكن أن يكون – أبدًا– فضيلة، حيث إنك لا تعمل إلا من أجل الهدف، فالفضيلة هي هدف في حد ذاتها[١٣٤].

فالخير هو وسيلة؛ والوسيلة هي وسيلة لشيءٍ أخر، وهذا يمثل غاية. فهل الغاية خير. فالخير ليس خير كغاية؛ بل إن الخير هو خير لشيء أخر، وهو بالتالي

وسيلة، فكل شيءٍ مرتبط بشيءٍ أخر. ويبدو صحيحًا لأن نسأل لماذا ينبغي أن نكون أخلاقيين؟ وهنا نجد أن أحد وجهات النظر عن الأخلاق تفترض أنها هي وسائل لشيء وليس لذاتها(١٣٥).

أما بالنسبة للشر؛ فللشر معاني عديدة؛ فيمكن أن يعرف الشر بأنه الألم أو أنه الفشل في إدراك الغاية أو الهدف أو أنه الفجور، فلا يوجد أحد ينكر بأن الألم موجود ولا أحد ينكر أنه شر، ولكننا نفشل في أن نرى كيف أن الألم يمكن أن يوجد في المطلق Absolute. ومن ثم فإننا نقبل بأن الألم له وجوده الفعلي. والتساؤل هنا هل يمكن أن تتحول طبيعته؟ وهل يمكن للألم أن يختفي في شيئًا أعلى منه؟ ويبدو من الواضح بأن الآلام الصغيرة تُبتلع في مركب كبير وهو السعادة. والجدير بالذكر أن الشر الأخلاقي يلاقي العديد من الصعوبات، فالشر الأخلاقي يوجد فقط في الخبرة، وتلك الخبرة في جوهرها هي مليئة بالأشياء المتضاربة. والشخص المدعي الأخلاق يصنع الشر ويرغب في حدوث الشر، وهنا يتم إلغاء شرط وجودها، فهي تعمل كي تمر خلال الأخلاقيات الزائفة وبالتالي تصل لمجال اللاأخلاق(١٣٦).

وبالتالي ذهب برادلي في ذلك إلى أنه لكي نُقيم الأخلاق فلابد أن نأخذ الجانبين على السواء "الخير والشر"، وبعدها يأتي السؤال عن العلاقة بينهما، فربما نقول بأن الذات السيئة هي في حد ذاتها نوعًا من اللامبالاة، وبذلك فهي تُفيم الخير بشكل مختلف، ولابد أن نعاملها كذات ناقصة لحين إستكمالها للخير(١٣٧).

ولكننا هنا وبعيدًا عن عادات التفكير التي تحجب حقيقة أنه لا يوجد جزءًا من حياتنا لا يُدرك فيه الخير الأخلاقي؛ فإن هذا يعني أن الإنسان هو كائن أخلاقي في كل تفاصيل حياته حتى في نطاق الأشياء الترفيهية. ويذكرنا برادلي بأن الذات من خلال كونها "إرادة صالحة" فهي ما نرغب في إدراكه في مجال الأخلاق.

نتائج البحث :

من هذه الدراسة نستخلص النتائج التالية:

- إن حل النزاعات المتعارضة والتناقضات الموجودة داخل أي مجتمع نظرًا للتقدم الأخلاقي، لا يكون بالقضاء على العناصر المتعارضة؛ ولكن بإيجاد طريقة ما تتوافق فيها جميع الأطراف للنهوض بالمجتمع الذي يعد – طبقًا لبرادلي– كنز قَيِّم لا يجب التفريط فيه.
- من الأشياء التي تحسب لبرادلي هو عدم محاولته تقليل قيمة الفعل الأخلاقي أو ربطه بالشعور بالمتعة، حيث إنه انتقد الاتجاه النفعي الذي ينظر إلى الحياة على أنها تتكون من مجموعة من السعادات المنفصلة كل واحدة لها غاية في حد ذاتها، وأشار إلى أن المذهب النفعي الدجماطيقي هو الذي يمكنه الحكم على جودة الشيء من خلال الشعور بالسعادة.
- اعتقد برادلي أن مبدأ العقاب هو رد فعل أخلاقي، بالإضافة إلى أن العقاب يكون من أجل العقاب، حيث إنه يرى أن الرغبة في تطبيق العقوبة على المذنب تأتي من باب الشعور بالثأر؛ وهذا ما يُبرر العقاب من خلال تأثيره الجيد على الفرد والمجتمع.
- إن الإنسان بالنسبة لبرادلي لابد أن يقوم بالفعل المكلف به بنفسه، بل ويجب أن يكون هذا الإنسان الذي قام بالفعل هو نفسه وقت وقوع الحدث مهما كانت نتائجه، ويجب أن يكون لديه الإحساس الكافي بمعرفة ماذا يفعل وأن يعرف الخير من الشر، وهذا ما يؤكد على المسئولية الأخلاقية؛ ومن ثم فإن فكرة المسئولية الأخلاقية تُبرر من خلال محاولة حصولنا على ذات خيرة وليس العكس.
- إن الإنسان لكي يكون مسئولًا عن أي فعل، فلابد أن يكون حرًا، ليس فقط لكي يؤدي ما يريد، ولكن لكي يختار ما الذي يريده كي يؤديه، وذلك لأن بدون الحرية

لا يمكن أن تكون هناك مسئولية، مع العلم بأن الإنسان كونه يريد شيئًا أو أنه يرغب فيه فهما شيئان مختلفان في النوع؛ وذلك لأن رغباتنا لا تحمل ضغط على إرادتنا، حيث إن إرادة الفرد هي نفسه، والإنسان نفسه متفوق على رغباته.

- إن الغاية في المجال الأخلاقي تتضمن فعل؛ والفعل يتضمن إدراك الذات، ولما كانت الأخلاق تتداخل مع إدراك الذات؛ بمعنى إدراك الذات للذات الأفضل داخلنا، لذا فالأخلاق هي إدراك الذات داخل نطاق الإرادة الشخصية، أو إنها إدراك الذات كأنها إرادة خيرة. وإذا كان كل شيء يتضمن الإرادة، فإن كانت الإرادة خيرة؛ فإن هذا يعني إدراك الأخلاق. ومن ثم فإخماد الذات السيئة وإدراك الذات الخيرة، تلك هي قاعدة الأخلاق.

- إن هدف الفعل الأخلاقي عند برادلي هو أكثر من مجرد السعادة التي ترافق أي فعل يقوم به الإنسان، حيث إن الخير يكمن في الإرادة الخيرة، والهدف هو إدراك الإرادة الخيرة داخل نفسي. ومن تلك الصفة فأنا غاية لنفسي، وأنا الغاية النهائية المطلقة، ولا يوجد شيئًا يكون خيرًا ما لم تكن هناك إرادة خيرة.

- لكي ندرك الذات –طبقًا لبرادلي– يجب أن ندرك الكل، ولكي ندرك أنفسنا ككل مطلق يجب أن ندرك أنفسنا كأفراد واعية ذاتيًا للكل المطلق من خلال إدراكنا للكل في أنفسنا، وعندما يكون الكل هو شيء مطلق بشكل صحيح، وعندما تكون شخصيتنا موجودة بشكل كامل معه، فنحن بذلك نصل للتجانس في الشيء الواحد، كما نصل إلى إدراك الذات بشكلٍ واضح.

- هناك ثلاثة عناصر نعبر من خلالها عن الوعي الذاتي، ومن ثم على المجال الأخلاقي وهم: المعرفة بالخير والمعرفة بالشر وإرادة الذات الواعية. فلكي نعرف ما هو الخير لابد أن نعرف ما هو الشر والعكس.

- إن الذات تولد مهيئة أخلاقيًا ليست بالسوء ولا بالشر. ويرى برادلي أيضًا أن الذات تقع في العادات السيئة الطريقة نفسها التي تقوم فيها بالعادات الخيرة. ومن ثم فالأخلاق تتطلب بأن الخير والشر يكونا في الوعي الذاتي، وأنه من غير الكافِ للذات أن تحدد بالخير من جهة وبالشر من جهة أخرى وأن تشعر بهذا التناقض.

- إن الذات الخيرة هي ما ندرك أنفسنا من خلالها؛ وهي الذات التي تحظى بالسعادة من خلال فعل الخير الأخلاقي الذي يهتم بالنشاطات والغايات التي تدرك الإرادة الخيرة. فالإرادة الخيرة هي الإرادة التي تدرك الذات المثالية. ومن ثم فإن الذات الخيرة هي الذات التي غايتها ومتعتها هي إدراك الذات المثالية. فضلًا عن أنه يرى أن الذات الأخلاقية تظهر في كل تفاصيل الحياة، وهي ليست مجرد مزاج أو تصرف غريزي ولكنها محصلة أفعال عديدة للإرادة.

- إن جوهر الخير هو أن يوجد بواسطة فضيلة شيء أخر، والفضيلة هنا هي وسيلة للسعادة أو الألم، للصحة أو المرض، للثروة أو الفقر؛ وهي خيرة بسبب أنها وسيلة لخير، ومن ثم فالخير هو وسيلة؛ والوسيلة هي وسيلة لشيءٍ أخر، وهذا يمثل غاية. فالخير ليس خيرًا كغاية؛ بل إن الخير هو خيرًا لشيءٍ أخر، وهو بالتالي وسيلة، حيث إنك لا تعمل أبدًا إلا من أجل الهدف، والفضيلة هي هدف في حد ذاتها.

References:

(1) Koc, Emel: On the Metaphysics of F. H. Bradley, SDU Faculty of Arts and Sciences, Journal of Social Sciences, No: 37. 2016, p. 51.

(2) Ferreira, Philip: Bradley and the Structure of Knowledge, State University of New York press, SUNY series in philosophy, 1999, p. 2.

(3) Blanshard, Brand: Francis Herbert Bradley, The Journal of phoilosophy, vol. 22, No. 1, published by: Journal of philosophy, Inc., 1925, p. 5.

(4) Bradley, F. H: Ethical Studies, Oxford, The Clarendon press, 1927, p. 205, 227.

(5) Keene, Carol Ann Mary: F. H. Bradley's Theory of Self, Ph. D. Thesis, St. Louis University, 1969, p. 436.

(6) Bradley, F. H: Ethical Studies. p. 215.

(7) Piers, Benn: Ethics Fundamentals Philosophy, published by UCL press, 1998, p. 186.

(8) Anthony, Manser & Guy Stock: The Philosophy of F. H. Bradley, New York: Oxford University press, 1984, p. 525.

(9) Bradley, F. H: Essays on Truth and Reality. First published Oxford: Clarendon press, 1944, p. 14.

(10) Anthony, Manser & Guy Stock: The Philosophy of F. H. Bradley, p. 524.

(11) Ibid., p. 525.

(12) Fishbein, Michael: The Influence of Idealism of F. H. Bradley on the Thought and Poetry of T. S. Eliot, Ph. D. Thesis, Yale University, 1971, p. 45.

(13) Jharna, Sen: The Notions of Freedom and Predictability with Special Reference to Hume, Mill, and Bradley, Ph. D. Thesis, published by proquest LLC, 2016, p. 113.

(14) Blanshard, Brand: Francis Herbert Bradley, p. 15.

(15) Fishbein, Michael: The Influence of Idealism of F. H. Bradley on the Thought and Poetry of T. S. Eliot, p. 42.

(16) Bradley, F. H: Anglo – American Philosophies of Penal Law, IV., The Philosophy of Responsibility, Journal of the American Institute of Criminal Law and Criminology, vol. 2, No. 2, pp. 186 – 198, published by North Western University pritzker school of law, 1911, p. 186.

(17) Bradley, F. H: Ethical Studies, p. 4.

(18) Bradley, F. H: Anglo – American Philosophies of Penal Law, IV., The Philosophy of Responsibility, p.189, & Bradley, F. H: Ethical Studies, p.7.

(19) Bradley, F. H: Ethical Studies, p. 8.

(20) Bradley, F. H: Anglo – American Philosophies of Penal Law, IV., The Philosophy of Responsibility, p. 188.

(21) Ibid., p. 192.

(22) Bradley, F. H: Ethical Studies, p. 25.

(23) Bradley, F. H: Anglo – American Philosophies of Penal Law, IV., The Philosophy of Responsibility, p. 592.

(24) Bradley, F. H: Ethical Studies, p. 26.

(25) Jharna, Sen: The Notions of Freedom and Predictability with Special Reference to Hume, Mill, and Bradley, p. 98, 99.

(26) Bradley, F. H: Ethical Studies, p. 28.

(27) Jharna, Sen: The Notions of Freedom and Predictability with Special Reference to Hume, Mill, and Bradley, p. 109, 110.

(28) Ibid., p. 10.

(29) Bradley, F. H: Collected Essays, vol. I, ch. VII, 1935, p. 153.

(30) Jharna, Sen: The Notions of Freedom and Predictability with Special Reference to Hume, Mill, and Bradley, p. 111, 112.

(31) Ibid., p. 112.

(32) Brooks, Thom: On F. H. Bradley's some Remarks on Punishment, Ethics, 125 (October 2014): University of Chicago, p. 223.

(33) John, Rawls: Two Concepts of Rules, philosophical Review, 64, 1995, p. 5, 6. & H. L. A, Hart: Punishment and Responsibility, Oxford: Clarendon, 1968, p. 233.

(34) Bradley, F. H: Ethical Studies, p. 8, 9.

(35) Mopherson, Mary Patterson: Transcendence and Freedom in The Philosophy of F. H. Bradley, Ph. D. thesis, Bryn Mawr College, 1969, p. 99.

(36) Ibid., p. 101.

(37) Bradley, F. H: Ethical Studies, p. 10, 11.

(38) Ibid., p. 11, 12.

(39) Mopherson, Mary Patterson: Transcendence and Freedom in The Philosophy of F. H. Bradley, p. 110.

(40) Bradley, F. H: Collected Essays, p. 527, 528.
(41) Sidgwick, Henry: Methods of Ethics, 6th Ed. Edt. 1901, p. 65.
(42) Jharna, Sen: The Notions of Freedom and Predictability with Special Reference to Hume, Mill, and Bradley, p. 6, 7.
(43) Ibid., p. 8.
(44) Ibid., p. 9.
(45) Ibid., p. 10.
(46) Sidgwick, Henry: Ethical Studies by F. H. Bradley, vol. 1, No. 4. Oxford University press on behalf of the Mind Association. 1876, p. 546.
(47) Ferreira, Philip: Bradley and the Structure of Knowledge, p. 4.
(48) Bradley, F. H: Ethical Studies, p. 129.
(49) Mopherson, Mary Patterson: Transcendence and Freedom in The Philosophy of F. H. Bradley, p. 71.
(50) Ibid., p. 72.
(51) Bradley, F. H: Ethical Studies, p. 298.
(52) Mopherson, Mary Patterson: Transcendence and Freedom in The Philosophy of F. H. Bradley, p. 73.
(53) Bradley, F. H: Ethical Studies, p. 303, 304.
(54) Mopherson, Mary Patterson: Transcendence and Freedom in The Philosophy of F. H. Bradley, p. 78.
(55) Bradley, F. H: Ethical Studies, p. 298.
(56) Sidgwick, Henry: Ethical Studies by F. H. Bradley, p. 547.
(57) J. McCormack, R.S.C.J, Elizabeth: F. H. Bradley's Philosophy of Man, Ph. D. Thesis, Fordham University, 1967, p. 71.
(58) Sidgwick, Henry: Ethical Studies by F. H. Bradley, p. 546.
(59) Bradley, F. H: Why Should I Be Moral? rev. ed. New York: Basic Books, quoted in John passmore, A Hundred years of philosophy, 1966, p. 7.
(60) Bradley, F. H: Ethical Studies, p. 229.
(61) Mopherson, Mary Patterson: Transcendence and Freedom in The Philosophy of F. H. Bradley, p. 86.
(62) Ibid., p. 82.
(63) Bradley, F. H: Ethical Studies, p. 222.
(64) Mopherson, Mary Patterson: Transcendence and Freedom in The Philosophy of F. H. Bradley, p. 83.

(65) Bradley, F. H: Ethical Studies, p. 445.

(66) Eliot, T. S.: knowledge and Experience in The Philosophy of F. H. Bradley, published by Faber and Faber limited 24 Russell Square London, 1964, p. 16.

(67) Lemon, B. McHenry: Whitehead and Bradley: A Comparative Analysis, State university of New York press, 1992, p. 70.

(68) Schaich, Jr. &, Paul Clifford: The Dreaming World of F. H. Bradley: A Metaphysical Theory of Perception, Ph. D. Thesis, Yale University, 1969, p. 88.

(69) Bradley, F. H: Ethical Studies, p. 79.

(70) Ibid., p. 80.

(71) Ibid., p. 86.

(72) Ibid., p. 88.

(73) Ronald, John Teske S. J: The Identity of Things and of Selves in the Metaphysics of F. H. Bradley, Ph. D. Thesis, University of Toronto, 1973, p. 121.

(74) Fishbein, Michael: The Influence of Idealism of F. H. Bradley on the Thought and Poetry of T. S. Eliot, p. 44.

(75) Ajit, Kunarsinha: The Problem of Appearance and Reality in Sankara and Bradley, Ph. D. Thesis, University of Illinois, the Graduate College, 1955, p. 142, 143.

(76) Bradley, F. H: Appearance and Reality: A metaphysical Essay, London, Oxford, Second Edition, 1897, p. 73.

(77) Keene, Carol Ann Mary: F. H. Bradley's Theory of Self, p. 465.

(78) Bradley, F. H: Ethical Studies, p. 261.

(79) Fishbein, Michael: The Influence of Idealism of F. H. Bradley on the Thought and Poetry of T. S. Eliot, p. 43.

(80) Keene, Carol Ann Mary: F. H. Bradley's Theory of Self, p. 474, 476.

(81) Bradley, F. H: Ethical Studies, p. 285.

(82) Mopherson, Mary Patterson: Transcendence and Freedom in The Philosophy of F. H. Bradley, p. 114.

(83) Keene, Carol Ann Mary: F. H. Bradley's Theory of Self, p. 434, 435.

(84) Bradley, F. H: Ethical Studies, p. 215.

(85) Ibid., p. 217.

(86) Keene, Carol Ann Mary: F. H. Bradley's Theory of Self, p. 440, 441.
(87) Bradley, F. H: Ethical Studies, p. 219.
(88) Ibid., p. 228, 229.
(89) Ibid., p. 206.
(90) Sidgwick, Henry: Ethical Studies by F. H. Bradley, p. 548.
(91) Bradley, F. H: Ethical Studies, p. 78.
(92) Keene, Carol Ann Mary: F. H. Bradley's Theory of Self, p. 452.
(93) Ibid., p. 454.
(94) Mopherson, Mary Patterson: Transcendence and Freedom in The Philosophy of F. H. Bradley, p. 105.
(95) Bradley, F. H: Ethical Studies, p. 57.
(96) Mopherson, Mary Patterson: Transcendence and Freedom in The Philosophy of F. H. Bradley, p. 87, 88.
(97) Bradley, F. H: Ethical Studies, p. 73.
(98) Ajit, Kunarsinha: The Problem of Appearance and Reality in Sankara and Bradley, p. 135, 136.
(99) Bradley, F. H: Appearance and Reality, Oxford, Clarendon press, 2 nd Edition, 1897, p. 76.
(100) Mopherson, Mary Patterson: Transcendence and Freedom in The Philosophy of F. H. Bradley, p. 61, 62.
(101) Ibid., p. 66.
(102) Bradley, F. H: Ethical Studies, p. 73.
(103) Ibid., p. 80. &, Bradley, F. H: Why Should I Be Moral?, p. 8.
(104) Ajit, Kunarsinha: The Problem of Appearance and Reality in Sankara and Bradley, p. 143, 144.
(105) Jharna, Sen: The Notions of Freedom and Predictability with Special Reference to Hume, Mill, and Bradley, p. 103.
(106) Ibid., p. 113, 114.
(107) Ajit, Kunarsinha: The Problem of Appearance and Reality in Sankara and Bradley, p. 136, 137.
(108) Fishbein, Michael: The Influence of Idealism of F. H. Bradley on the Thought and Poetry of T. S. Eliot, p. 44.
(109) Ronald, John Teske S. J: The Identity of Things and of Selves in the Metaphysics of F. H. Bradley, Ph. D. Thesis, University of Toronto,

1973, p. 98, 100.

(110) Mopherson, Mary Patterson: Transcendence and Freedom in The Philosophy of F. H. Bradley, p. 69.

(111) Bradley, F. H: Ethical Studies, p. 276.

(112) Keene, Carol Ann Mary: F. H. Bradley's Theory of Self, p. 460.

(113) Ibid., p. 460, 463.

(114) Bradley, F. H: Ethical Studies, p. 274.

(115) Keene, Carol Ann Mary: F. H. Bradley's Theory of Self, p. 468.

(116) Bradley, F. H: Ethical Studies, p. 274.

(117) Ibid., p. 227.

(118) Ibid., p. 279.

(119) Bradley, F. H: Appearance and Reality, p. 75.

(120) Bradley, F. H: Ethical Studies, p. 303.

(121) Keene, Carol Ann Mary: F. H. Bradley's Theory of Self, p. 493.

(122) Ibid., p. 495.

(123) Ibid., p. 499.

(124) Bradley, F. H: Appearance and Reality, p. 371.

(125) Keene, Carol Ann Mary: F. H. Bradley's Theory of Self, p. 499.

(126) Bradley, F. H: Ethical Studies, p. 60.

(127) Ibid., p. 294.

(128) Keene, Carol Ann Mary: F. H. Bradley's Theory of Self, Carol, p. 483.

(129) Bradley, F. H: Ethical Studies, p. 293, 295.

(130) Keene, Carol Ann Mary: F. H. Bradley's Theory of Self, p. 486, 487.

(131) Bradley, F. H: Ethical Studies, p. 299.

(132) Ibid., p. 278.

(133) Keene, Carol Ann Mary: F. H. Bradley's Theory of Self, p. 487.

(134) Bradley, F. H: Ethical Studies, p. 55, 57. & Bradley, F. H: Why Should I Be Moral?, p. 5.

(135) Bradley, F. H: " Why Should I Be Moral?, p. 5.

(136) Bradley, F. H: Appearance and Reality: A metaphysical Essay, p. 137, 138.

(137) Bradley, F. H: Ethical Studies, p. 215.